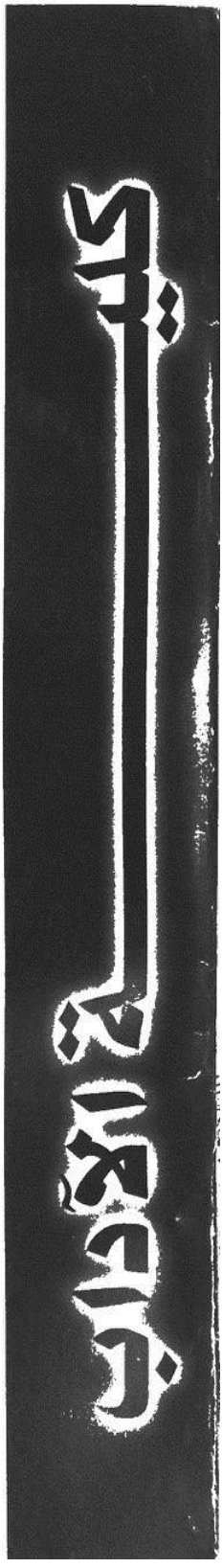

جامعة المنصورة
كليـــة الآداب

مجلة كلية الآداب

التهديدات المملوكية بغزو اليمن

في عهد الرسوليين (٦٤٨- ٨٥٨هـ/ ١٢٥٠-١٤٥٤م)

إعـــداد

الدكتور/ فارس بن صالح الذكري

استاذ بقسم التاريخ

جامعة الملك سعود – الرياض

العدد الثالث والخمسون - أغسطس ٢٠١٣

التهديدات المملوكية بغزو اليمن

في عهد الرسوليين (٦٤٨ – ٨٥٨هـ/ ١٢٥٠-١٤٥٤م)

د. فارس بن صالح الذكري

مـــدخل:

في الوقت الذي أقام فيه المماليك دولتهم(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠م-١٥١٧م)، وأصبحوا الدولة الإسلامية العظمى، كان الرسوليون(٦٢٦-٨٥٨هـ /١٢٢٨-١٤٥٣م) قد تمكنوا من تثبيت حكمهم في اليمن، وبسطوا سيطرتهم على جميع موانئه البحرية في عهد السلطان المظفر يوسف بن عمر (٦٤٧-٩٤هـ/١٢٤٩-١٢٩٤م)،[١] وأصبحوا قوة اقتصادية عظمى.[٢]

ولما كان اقتصاد الدولة المملوكية قائم في الأساس على تجارة البحر الأحمر، فإن الدولة الرسولية كانت تمثل نقطة عبور مهمة للتجارة الدولية المارة عبر هذا البحر، ولها السيادة الكاملة على مداخله الجنوبية، وإذا كان المماليك قد بسطوا سيطرتهم على الحجاز وحرصوا على أن لا ينازعهم عليه أحد، فإن الرسوليين كانوا أقرب إليه منهم ولعبوا دوراً مؤثراً في أوضاعه السياسية والاقتصادية.

ومن هنا نشأت بين الطرفين علاقة اتسمت في أغلب فتراتها بالصداقة والتعاون، فساهم الرسوليون مع المماليك في الجهاد ضد الصليبيين في بعض الفترات،[٣] وحرصوا على ارسال الهدايا الثمينة والنادرة إلى سلاطينهم وكبار رجال الدولة، وكانت تلك الهدايا محل اهتمام المماليك ومبادلتها بالمثل،[٤] وسمحوا بالدعاء للسلاطين الرسوليين بمكة،[٥] وساندوهم في حل بعض مشكلاتهم الداخلية.[٦]

وفي أحايين أخرى تحولت تلك العلاقة إلى العداء والقطيعة، و لجأ خلالها المماليك إلى تهديد الرسوليين بغزو اليمن مرات كثيرة.[٧]وكانت تلك التهديدات توحي في الغالب إلى أن الأمر جد وليس فيه مفاوضة أو تراجع،[٨]إذ كان المماليك يعدون اليمن جزء من تركة الأيوبيين الذين هم ورثتهم،[٩] بل قام المماليك أكثر من مرة بإعداد جيوشهم وتجهيزها لتنفيذ تهديداتهم.[١٠] ولهذا حمل الرسوليون تلك التهديدات في الغالب محمل الجد،[١١] واستعدوا للمواجهة.[١٢]

إلا أنه رغم كل هذا لم تطأ الجيوش المملوكية أرض اليمن من أجل الاستيلاء عليه طيلة عهد الرسوليين. وما هذا البحث إلا محاولة لمعرفة حقيقة تلك التهديدات ودراسة أسبابها ونتائجها ، وموقف الرسوليين منها.

أولاً : التهديدات المملوكية بغزو اليمن:

تشير المصادر إلى أن أول اتصال تم بين المماليك والرسوليين كان في عام (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) حينما أرسل السلطان المملوكي المظفر سيف الدين قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ/١٢٥٨-١٢٦٠م) إلى بعض سلاطين الدول الإسلامية ومنهم السلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي (٦٤٧-٦٩٤هـ/١٢٤٩-١٢٩٤م) للبشارة بانتصار المماليك في معركة عين جالوت الشهيرة،[١٣] ويبدو أن علاقة حسنة نشأة بين الطرفين أكد ذلك الهدايا المتبادلة بينهما إلى أن قدم السلطان الظاهر بيرس(٦٥٨ – ٦٧٦هـ/١٢٥٩ – ١٢٧٧م) إلى مكة لأداء الحج عام (٦٦٧هـ/١٢٦٩م) فأرسل من هناك رسالة تهديد وتحذير إلى السلطان المظفر الرسولي قال فيها: " سطرتها من مكة المشرفة وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة ـ يعني بالخطوة المنزلة ـ ويقول له: الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده ، ويبذل نفسه في الذب عن حوزة الدين ، فإن كنت ملكاً فاخرج إلى التتار".[١٤]

وكانت هذه أول رسالة تهديد أرسلها المماليك إلى الرسوليين، نتيجة لتدخل السلطان المظفر الرسولي بالخلاف فيما بين أشراف مكة، وكما هو واضح منها فإن السلطان الظاهر بيبرس أراد أن يؤكد للسلطان المظفر الرسولي أن مكة ليست بعيدة عنه وأنه متى أرادها وصل إليها بأسرع وقت، وهي في الوقت ذاته تحذير للسلطان المظفر الرسولي من التدخل في شؤونها أو محاولة مد نفوذه إليها. وأما قوله " فإن كنت ملكاً فاخرج إلى التتار" فهو استهزاء وسخرية صريحة بتلقب السلطان المظفر الرسولي بهذا اللقب، وفي الوقت ذاته تحذير له من عدم اعترافه بالخليفة العباسي بالقاهرة.

وأما عن رد السلطان المظفر الرسولي على تلك الرسالة و ما جاء فيها من تهديد وتحذير فيشير الخزرجي إلى أنه كتب إلى السلطان الظاهر بيبرس أنه قوي الثقة بربه وأن لديه إيماناً قوياً بأنه محفوظ من أي اعتداء ببركة جده.(١٥)

ولم تشر المصادر إلى أي موقف عدائي بين الدولتين بعد هذه الرسالة طيلة عهد السلطان الظاهر بيبرس ومن بعده حتى نهاية عهد السلطان قلاوون الألفي (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م)،(١٦) وإنما على العكس من ذلك تشير إلى علاقة حسنة بينهما أظهر الطرفان خلالها الحرص على تبادل الرسائل والهدايا.(١٧)

إلا أنه ما أن علم السلطان المظفر الرسولي بوفاة السلطان قلاوون الألفي(٦٨٩هـ/١٢٩٠م) حتى قطع الهدية التي كان يرسلها إلى السلطان المملوكي بحسب ما ترويه بعض المصادر المصرية.(١٨) مما أثار غضب السلطان الأشرف بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٤م)،(١٩) الذي ولي السلطة بعد والده، فكتب إليه يهدده ويتوعده، وعنون الكتاب بـ " يصل إلى الخارجي باليمن، وأرسله مع بعض الكارم وقال فيه : لأخرجن اليمن من يمينيك واقتل من آل إليك أو والاك، وعرفه أنه يجهز عقيبه عسكراً إذا لم يحضر إليه بالجواب والهدية على عادته ".(٢٠) وتشير

بعض الروايات إلى أن السلطان الأشرف بن قلاوون توجه إلى قوص،[٢١] وأمر من هناك بتجهيز العساكر لغزو اليمن، غير انه اضطر للعودة إلى القاهرة دون ان ينفذ تهديده، بسبب تعرضه لبعض المشكلات الداخلية التي انتهت بقتله سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٤م). [٢٢] كما أن السبب الذي كان قد استدعاه للتهديد بغزو اليمن قد زال بعودة الدعاء له في مكة بدلا من السلطان المظفر الرسولي،[٢٣] وليس لامتناع الأخير عن إرسال الهدية كما اشارت إلى ذلك بعض الروايات.[٢٤] ولعل إرسال تلك الرسالة مع رجل من تجار الكارم فيه دلالة واضحة على وجود مشكلة تجارية بين الدولتين.

وأما عن رد السلطان المظفر الرسولي على تلك الرسالة فإنه لما اطلع على عنوانها أعادها إلى الرسول بحجة أنها ليست موجهة له وإنما موجهة إلى الخارجي الذي على الرسول أن يبحث عنه، ولما ذكر له الرسول فحواها رد عليه بأن "هذا كلام قز غلب عليه الجهل". [٢٥]وكانت تلك آخر رسالة تلقاها السلطان المظفر الرسولي من المماليك حيث وافته منيته في عام (٦٩٤هـ /١٢٩٤م).[٢٦]

وتولى السلطة من بعده ابنه السلطان الأشرف عمر الرسولي(٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م)،[٢٧]ولم تسجل المصادر اتصالاً مباشراً بينه وبين المماليك، حيث لم يمض في السلطة سوى عامين، ثم تولى السلطة من بعده أخيه السلطان المؤيد بن المظفر (٦٩٦-٧٢١هـ/١٢٩٦- ١٣٢١م)، وكان عهده فترة استقرار ورخاء وانتعاش اقتصادي كبير شهدته اليمن.[٢٨] على عكس ما كانت عليه الدولة المملوكة التي مرت بفوضاء سياسية بسبب الصراع حول كرسي السلطة.[٢٩] ورغم ذلك إلا أن التهديدات المملوكية بغزو اليمن كانت أكثر حدة، وتكررت أكثر من مرة، وكان أول من بدأها السلطان المملوكي حسام الدين لاجين(٦٩٦-٦٨٩هـ/١٢٩٧-١٢٩٩م)،[٣٠] إذ يقال أنه أمر سنة(٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) بتجهيز حملة عسكرية لغزو اليمن لم تتم،[٣١]

إما بسبب مقتله، أو أنها كانت مجرد تخويف فقط. وليس من المستبعد إذا ما تأكد صحة هذا الخبر أن يكون السبب وراء تجهيز هذه الحملة عائد إلى تعرض تجار الكارم لمضايقات من قبل السلطان المؤيد الرسولي، ولعلها امتداد لممارسات كان قد بدأها والده السلطان المظفر يوسف في أخر عهده دعت السلطان الأشرف بن قلاوون إلى تهديده كما سبق.

ولعل انقطاع الهدية اليمنية في السنوات الأولى من حكم السلطان المؤيد الرسولي يشير إلى استمرار المشكلة التجارية بين الطرفين حتى الفترة الثانية من عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٩-١٣٠٨م)، [٣٢]إذ تشير المصادر إلى أنه أرسل إلى السلطان المؤيد الرسولي رسالة ظاهرها البشارة بانتصار المماليك في حربهم مع الأرمن، وباطنها إظهار قوة المماليك لتخويف وتهديد السلطان المؤيد الرسولي الذي فهم الهدف من تلك الرسالة فرد عليها برسالة افتخر فيها بما حققه من نصر على بعض خصومه في اليمن، واعتذر عن تقديم المساعدات المالية التي طلبها منه السلطان الناصر، مما أثار غضب الأخير فرد عليه برسالة مليئة بالسخرية منه والاستهزاء بما افتخر به من انتصارات لا يمكن أن تقارن بما حققته جيوش المماليك من انتصارات في حروبهم، ولم يقبل اعتذاره عن عدم قدرته على إمداده بالأموال التي طلبها منه، وذهب إلى أكثر من ذلك فهدده بغزو اليمن التي اعتبرها جزء من بلاد المماليك، وأنها ليست بغائبة عن بالهم، وإنما شغلهم عنها اشتغالهم بالجهاد، ويوماً ما سوف تتوجه الجيوش المملوكية إليها.[٣٣] وكانت تلك الرسالة مليئة بالحديث عن كثرة أموال اليمن، وسوء تدبير الرسوليين لها، وتمنعهم عن بذلها في الجهاد في سبيل الله. مما يشير إلى أن هناك امتعاض مملوكي من السياسة التجارية للرسوليين.

ومع أن العلاقة عادت بعد ذلك إلى الصفاء والمودة بدليل إرسال السلطان الناصر محمد بن قلاوون مرة أخرى في سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م) رسالة إلى المؤيد الرسولي بالبشارة بانتصار المماليك على التتار في معركة مرج الصفر(٧٠٢هـ/١٣٠٣م)، [٣٤]وقابل السلطان المؤيد الرسولي حامل الرسالة بالحفاوة، وعمل لذلك مناسبة كبيرة للتعبير عن الابتهاج بهذا الانتصار.[٣٥] إلا أنه ثمة مشكلة لا زالت قائمة بين البلدين مما جعل السلطان المؤيد الرسولي يتوجس خيفة من قدوم الأمير سلار[٣٦] نائب السلطان الناصر محمد إلى الحج سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م) بحملة كبيرة، فتوجه بقواته إلى زبيد[٣٧] تحسبا لأي هجوم من قبل الأمير سلار على اليمن.[٣٨]

ولعل تلك المشكلة متعلقة بالتجارة بين البلدين، ومما أكد ذلك تقدم مجموعة من تجار الكارم سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م) بالشكوى إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأن السلطان المؤيد الرسولي تعرض لهم، ولم يجزهم على عادتهم، وقطع الهدية بحجة صغر السلطان الناصر محمد بن قلاوون.[٣٩] فأرسل إليه أمراء الدولة المملوكية باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون رسالة تهديد وتحذير جاء فيها : " لا تحوج نفسك إلى مجيء عسكر إليك فتكون دماء أهل اليمن في ذنبك ... والطريق التي استولى عليها الملك المسعود ابن مولانا السلطان الكامل معروفة، ومسالكها مألوفة".[٤٠]

ورغم أن السلطان المؤيد الرسولي قام في شهر شوال من السنة نفسها (٧٠٤هـ/ ٣٠٥ م) بأرسال هدية إلى السلطان الناصر محمد عظم الخزرجي من شأنها وقدرها،[٤١] إلا أن ذلك لم يكن حلا للمشكلة، بل إن تلك الهدية كانت محل امتعاض وانتقاص من السلطان الناصر محمد الذي اعتبرها أقل من الهدية المعتادة، فأرسل إليه مرة أخرى يهدده بغزو اليمن، إلا ان المؤيد الرسولي لم يرد على ذلك ولم

يعبا به،[٤٢] وتزامن ذلك مع ورود أنباء إلى السلطان الناصر محمد تفيد بأن السلطان المؤيد الرسولي أرسل أموالا إلى مكة لحمل الأشراف على الدعاء له بدلا من السلطان الناصر محمد،[٤٣]ولعل ذلك بسبب اطلاعه على سوء الأوضاع الداخلية للمماليك في تلك الفترة، مما زاد من حدة التوتر بين الطرفين، واستدعى ذلك تدخل الخليفة العباسي المستكفي بالله أبو الربيع (٧٠١-٧٤٠هـ/٣٠٢ – ١٣٤٠م) [٤٤] للضغط على السلطان المؤيد الرسولي، فأرسل اليه بكتاب سنة(٧٠٧هـ/١٣٠٨م) مع كتاب من السلطان الناصر محمد يحذرانه فيهما من الاستمرار في المعاندة والمكابرة.[٤٥]

ولم يتوقف الأمر عند إرسال الكتابين فقط، بل إن السلطان الناصر محمد أمر بتجهيز حملة عسكرية لغزو اليمن، فكلف كل أمير من المماليك بعمل جلبة، وفلوة[٤٦] تصنع في الوجه القبلي، ثم تحمل إلى السويس والطور على ظهور الإبل لتلقى في البحر هناك بقصد حمل الأزواد والآلات والرجالة إلى اليمن عن طريق البحر.[٤٧]

ومع أن المصادر تتفق على توقف العمل عن تجهيز تلك الحملة ،الا أنها اختلفت فيما بينها حول أسباب ذلك، فالخزرجي(ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) يذكر أن السلطان المؤيد الرسولي حين بلغته أنباء إعداد تلك الحملة منع التعامل مع تجار الكارم، مما اضطر السلطان الناصر محمد للتراجع عن إعداد تلك الحملة، بالإضافة إلى أن العلماء بينوا له شناعة ما أقدم عليه وعدم جوازه، فأرسل إلى السلطان المؤيد الرسولي يعلمه تراجعه عن ذلك ويطلب منه الصلح والموادعة.[٤٨]

أما العيني (ت ٨٤٥هـ/ ١٣٤٤م) فيذكر أن العمل على إعداد تلك الحملة توقف بطلب من أعيان الكارم الذين سألوا الإمهال إلى أن يعود جواب السلطان المؤيد الرسولي على كتاب الخليفة والسلطان الناصر محمد،[٤٩]بينما ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٣٧٣م) يقول بأنه لما بدأ العمل في إعداد تلك الحملة جهز الأمير

سلار نفسه ليكون قائدها لأنه أراد أن يستغل ذلك بالهرب إلى اليمن من وجه السلطان الناصر محمد الذي بدأ يخطط للقبض عليه، وللهرب من وجه منافسه في الوزارة الأمير بيبرس الجاشنكير[٥٠] حين أدرك استظهاره عليه بكثرة جنده، ولما تنبه الأمير بيبرس الجاشنكير لما يخطط له الأمير سلار أرسل إليه من الأمراء من تمكن من ثني عزمه عن ذلك حتى ينتظر جواب السلطان المؤيد الرسولي على كتابي الخليفة والسلطان الناصر محمد.[٥١]

وهنا نلاحظ أن الخزرجي يؤكد على أن مضايقة تجار الكارم إنما هي ردت فعل من السلطان المؤيد الرسولي لما علم عن تجهيز الحلمة العسكرية لغزو بلاده ، وهذا على خلاف ما تذكره المصادر المصرية بأن مضايقة تجار الكارم وقطع الهدية هي السبب في تلك الأزمة، ولعل الأخير هو الأقرب حيث نجد الخزرجي نفسه يشير في بداية الأزمة عام (٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م) إلى تعرض بعض تجار الكارم للمضايقة من العاملين في ميناء عدن.[٥٢]

وإذا كان من المستبعد أن تكون تلك الأزمة انتهت باعتذار السلطان الناصر محمد للسلطان المؤيد الرسولي كما يشير الخزرجي،[٥٣] فإنه أيضاً من المستبعد أن يكون السبب في توقف العمل عن إعداد تلك الحملة هو انتظار ما يجيء به جواب السلطان المؤيد الرسولي على كتابي الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع والسلطان الناصر محمد، لأن السلطان المؤيد الرسولي استمر في قطعه للعلاقة مع المماليك لأكثر من عشر سنوات دون أن تشير المصادر بعد ذلك إلى ردة فعل من جهة الدولة المملوكة. مما يجعلنا نرى بأن السبب في توقف العمل عن إعداد تلك الحملة هو اضطراب الأحوال السياسية في مصر والذي تمثل في هروب السلطان الناصر محمد بن قلاوون وتنافس الأمراء المماليك على تولي السلطة.[٥٤]

ولـذلك مـا أن عـاد السـلطان الناصـر محمـد للسـلطة للمـرة الثالثـة عـام (٧٠٩ –٧٤١هـ/ ١٣٠٩–١٣٤٠م) واستقرت أوضـاع الدولـة المملوكيـة حتـى بـادره السلطان المؤيد الرسولي بإرسال هدية ثمينة لتبدأ صفحة جديدة من العلاقات الحسنة بين الطرفين.(٥٥)

ولما تولى السلطان المجاهد الرسولي (٧٢١–٧٦٤هـ/١٣٢١–١٣٦٣م) (٥٦) السلطة بعد وفاة والده السلطان المؤيد خرج عليه ابن عمه الظاهر عبدالله بن المنصور أيوب بن يوسف بن عمر،(٥٧) واضطربت أحواله السياسية، واضطره ذلك إلى اللجوء لطلب النجدة العسكرية من السلطان الناصر محمد سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م). (٥٨) وهذا تطور كبير جداً في العلاقة بين الدولتين، فكيف يستعين السلطان المجاهد بالمماليك الذين كثيراً ما هددوا الرسوليين بغزو اليمن ؟

وللإجابة على هذا التساؤل يبدو أن الرسوليين بعد فشل حملة الأمير سلار، واضطراب أوضاع المماليك الداخلية، وتسلط الأمراء على السلطة، أصبح لديهم اطمئنان بأنه لم يعد بمقدور المماليك غزو اليمن لأجل الاستيلاء عليها. وقد أكد ذلك أن طلب السلطان المجاهد هذا لم يوافق عليه السلطان الناصر محمد حتى أعاده وكرره ثانية في عام(٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، وما استجاب إلا بعد أن أطمعه السلطان المجاهد بالأموال الطائلة والخيرات الكثيرة في بلاد اليمن.(٥٩)

وقد علل أحد الباحثين عدم استجابة السلطان الناصر في المرة الأولى رغبة منه في إبقاء الأوضاع غير المستقرة في اليمن والتي من شأنها كسر شوكة بني رسول وإضعاف دولتهم مما يضمن عدم تدخلهم في شؤون الحجاز أو تعكير التجارة عبر البحر الأحمر، بالإضافة إلى عدم تأكد السلطان الناصر محمد بن قلاوون من جدية هذا الطلب وعظم التكاليف المالية لهذه الحملة.(٦٠)

إلا أن السلطان المجاهد الرسولي ما أن رأى العساكر المصرية تدخل زبيد حتى انتابه الخوف وأدرك أنه ارتكب خطأً كبيراً قد يتسبب في نهاية دولته وتصبح اليمن تحت يد المماليك. ولهذا تخاذل عن مساعدتهم وحرص على التضييق عليهم ليعودوا من حيث أتوا، حتى ضاقت بهم الحال وخافوا على أنفسهم فقرروا العودة بعد أن كتب لهم السلطان المجاهد كتاباً يشهد به أنهم أدوا واجبهم وقضوا حاجته.[٦١] وتشير بعض الروايات إلى أن السلطان الناصر محمد عاقب قائد الحملة لأنه أضاع الفرصة التي أتيحت له لبسط سيطرته على اليمن.[٦٢] بينما هناك من يشير إلى أن السبب في معاقبته وشاية من أحد الأمراء اتهمه أمام السلطان الناصر محمد بأنه اخذ أموالا من السلطان المجاهد الرسولي.[٦٣]

وفيما عدا حادثة أسر السلطان المجاهد الرسولي في مكة سنة (٧٥١هـ/١٣٥١م) من قبل أمير الحج المصري[٦٤] بإغراء من شريف مكة عجلان بن رميثة،[٦٥]فإن العلاقة بين الدولتين استمرت على أفضل ما كانت عليه فترة طويلة امتدت إلى سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) تبادل الطرفان خلالها الهدايا الغالية والثمينة التي أطنبت المصادر بوصف محتوياتها والحفاوة البالغة في استقبال رسل البلدين من الطرفين. [٦٦]ولعل هزيمة المماليك من التتار سنة (٨٠٣ هـ/١٤٠١م) قرب دمشق كان لها الأثر لمسالمتهم للرسوليين خلال تلك الفترة.[٦٧]

إلا أن الضعف والاضطراب السياسي الذي عاشته الدولة الرسولية بعد عهد السلطان الناصر أحمد الرسولي (٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٤م) [٦٨] جعل بعض مستشاري السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م) [٦٩] يُحسِّن له غزو اليمن ويطمعه في الاستيلاء عليها، ومع أن هناك رواية تقول بأن السلطان الأشرف برسباي لم يتلفت إلى ذلك بالكلية،[٧٠] إلا أن الروايات تؤكد على أن السلطان الأشرف برسباي أرسل في سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م) إلى السلطان

المنصور عبدالله بن أحمد الرسولي[٧١](٨٢٧-٨٣٠هـ /١٤٢٣-١٤٢٦م) كتاباً يطلب فيه منه مساعدة مالية للإعانة على جهاد الإفرنج، وارفق ذلك بهدية مع أحد الأمراء المماليك بصحبة خمسين نفراً من المماليك السلطانية توجهوا عبر البحر إلى أن وصلوا إلى ساحل حلي بن يعقوب،[٧٢] فنزلوا إلى البر وتوجه الأمير المملوكي ومعه خمسة نفر فقط بالكتاب والهدية، ولما وصلوا إلى السلطان المنصور عبدالله الرسولي وأخذ في إعداد الهدية وتجهيز المساعدة المالية التي طلبوها أتاه الخبر بأن بقية العسكر المملوكي في حلي بن يعقوب نهبوا بعض الضياع وقتلوا أربعة من رجاله، فأثار ذلك غضبه وقال للأمير المملوكي : " ما هذا خبر خير فإن العادة أن يقدم في الرسالة واحد فقدمتم في خمسين رجلاً ولم يحضر منكم إلا أنت في خمسة نفر وتأخر باقيكم وقتلوا من رجالي أربعة"، فطرده ومن معه ولم يعطهم شيئاً فعادوا من حيث أتوا.[٧٣]

ولا شك أن استغراب السلطان الرسولي من كثرة عدد الأفراد القادمين بالرسالة وبقاء معظمهم في حلي بن يعقوب في محله، حيث لا يمكن أن يكون هؤلاء لأجل حمل الرسالة فقط، وإنما هم أشبه ما يكونوا بحملة استطلاعية لعل المماليك أرادوا من خلالها معرفة مدى قوة الرسوليين في الدفاع عن جبهتهم الشمالية التي تعتبر بوابة الدخول إلى بلادهم، وهو لاشك تطور خطير في العلاقة بين البلدين. ومن المستبعد ما اشار إليه أحد الباحثين من أن يكون المماليك أرادوا من هذه الحملة التلويح بقوة مصر حتى يذعن لهم الرسوليون ولا يتعرضوا لحرية التجارة،[٧٤] لأن خمسين نفرا وأن كانوا كثير بالنسبة لحمل الهدية إلا أن هذا العدد قليل جدا إذا ما كان الهدف اظهار القوة والتخويف.

ومع أن السلطان برسباي أغضبه تصرف السلطان الرسولي مع أفراد تلك الحملة فقرر غزو اليمن،[٧٥] إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث إما بسبب انشغال المماليك

في حروبهم الخارجية، أو لأن تلك الحملة الاستطلاعية لم تعد بالنتائج التي كان يرجوها أو يتوقعها المماليك.

أسباب التهديدات :

مع أن المصادر في الغالب تجعل السبب الرئيس للتهديدات المملوكية بغزو اليمن هو قطع الرسوليين للهدية التي كانوا يؤدونها للمماليك إلا أنه من خلال قراءة رسائل التهديد التي بعث بها المماليك إلى الرسوليين نجد الإشارة فيها إلى أسباب أخرى بالإضافة إلى قطع الهدية منها عدم اعتراف الرسوليين بالخليفة العباسي بالقاهرة، وتدخلهم في شؤون الحجاز، وتعرضهم لتجار الكارم ومضايقتهم.

وسنحاول خلال هذا المبحث دراسة هذه الأسباب ومعرفة مدى تأثيرها في توتر العلاقة بين الطرفين والمقارنة فيما بينها لمعرفة السبب الرئيس في التهديد بغزو اليمن.

أولاً، قطع الهدية :

في حديث المصادر المصرية واليمنية عن الهدايا المتبادلة بين الرسوليين والمماليك نجد تبايناً كبيراً بينها، حيث تؤكد المصادر المصرية على أن تلك الهدية مفروضة على سلاطين الدولة الرسولية، وفي هذا يقول عنها بيبرس الدوادار (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م): "كانت العوائد جارية بإرسالها إلى الأبواب الشريفة السلطانية"،[٧٦] ويشير القلقشندي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م) إلى أن السلطان المظفر الرسولي قد عاهد السلطان الظاهر بيبرس على أموال وهدايا والتزم بذلك،[٧٧] ويذكر العيني(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) أنه بالإضافة إلى الهدية المفروضة على الرسوليين كان مقررا على السلطان الرسولي ستة آلاف دينار في كل سنة مع هدية يختص بها السلطان المملوكي.[٧٨]وأكدت تلك المصادر على أن الهدية اليمنية قد ترفض إذا ما

قلت قيمتها عن المعتاد مما يعرض السلطان الرسولي للتهديد والتحذير.[٧٩] ولأجل هذا ذهبت بعض الدراسات الحديثة إلى اعتبار الهدية التي يرسلها سلاطين الدولة الرسولية رمزاً للولاء والتبعية،[٨٠] وأن انقطاعها " ايذان بالعصيان وقطع العلاقات بين مصر واليمن".[٨١]

بينما الخزرجي ـ مؤرخ الدولة الرسولية ـ يشير إلى أن تلك الهدية ما هي إلا " طلباً للمودة والمحبة، واستمراراً على ما يعهد من الصحبة "، [٨٢] ويشير إلى أنها في بعض الأحيان إنما ترسل في مقابل ما وصل من السلطان المملوكي.[٨٣]

وإذا ما استعرضنا الهدايا المتبادلة بين الطرفين خلال فترة العلاقة بينهما (٦٤٨-٨٥٨هـ /١٢٥٠-١٤٥٣م) فإننا نجد أن المصادر لم تشر إلى أكثر من عشرين هدية مرسلة من اليمن إلى مصر، مما يشير إلى أنها لم تكن سنوية أبداً، بل أنها انقطعت فترات طويلة جداً، وقد حدث هذا الانقطاع في فترات كانت الدولة المملوكية فيها أقوى ما كانت خاصة في عهد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٩-١٢٧٧م)، والسلطان قلاوون الألفي (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)، فخلال تلك الفترة التي امتدت لأكثر من ثلاثين سنة لم ترصد لنا المصادر سوى ستة هدايا مرسلة من اليمن.[٨٤]

وفي المقابل نجد أن الهدية اليمنية في الغالب يقابلها هدية مصرية ترسل إما مع الرسل اليمنيين،[٨٥] أو بسفارة مصرية.[٨٦]ومع أن الهدية اليمنية في الغالب كانت أكبر وأعظم من الهدية المصرية،[٨٧]إلا أنه وجد في بعض الفترات أن الهدية المصرية كانت أكبر بكثير من الهدية اليمنية،[٨٨] فلو كانت الهدية اليمنية مفروضة على الرسوليين لما احتاج المماليك إلى مبادلتها بالمثل أو بأفضل منها.

ومن الملاحظ أن المماليك أظهروا اهتماماً بالغاً في استقبال الهدية اليمنية حيث كان السلطان المملوكي في بعض الأحيان يبعث إلى عيذاب[٨٩]من يستقبل تلك

الهدية لحمايتها من قطاع الطريق، ولهذا جرد السلطان الناصر محمد بن قلاوون حملة لتأديب بعض الأعراب قرب عيذاب وأجلاهم إلى بلاد النوبة لما قطعوا الطريق على هدية السلطان المؤيد الرسولي سنة(٧١٦هـ/١٣١٦م).[٩٠] وكان رسل الهدية اليمنية يلقون حفاوة كبيرة من السلطان المملوكي، وتقدم لهم الخلع، وتعمل لهم الضيافة طيلة بقاءهم في مصر.[٩١]

ولم يقم المماليك بكل ذلك إلا لأجل أن تستمر تلك الهدية، لأن استمرارها دليل على العلاقة الجيدة بين الطرفين، ولما كانوا يتحصلون عليه منها من مكاسب مالية كبيرة جداً، حيث قُدرت قيمة إحدى تلك الهدايا بأكثر من ستين ألف دينار،[٩٢]وهذا سر اهتمام السلاطين المماليك بها وطلبها بالقوة حينما تتوتر العلاقة بين الطرفين. أي بمعنى آخر أن انقطاع الهدية ليس هو الدافع وراء التهديد وإنما كان وراء التهديد أمر آخر الحقت به الهدية لأهميتها.

وحينما يكون هناك تهديد بغزو اليمن فإن الهدية ترسل على وجه السرعة من اليمن ليس لأنها هي السبب وراء التهديد ولكن لما قاله ابن فضل الله العمري عن السلطان الرسولي:"وصاحب اليمن يهادي صاحب مصر ويداريه لمكان إمكان تسلطه عليه من البر والبحر الحجازي".[٩٣] وفي المقابل كان السلاطين المماليك يبادلون تلك الهدية بأخرى ليستمر الرسوليون على علاقتهم الحسنة بهم لحاجتهم لذلك.

ثانيا، التدخل في شؤون مكة:

سعى الرسوليون في بداية دولتهم، إلى مد نفوذهم على الحجاز لمكانته الدينية والتجارية ولمنع الأيوبيين من الوصول إليهم باليمن، وقد تمكنوا من ذلك في عهد مؤسس دولتهم السلطان المنصور عمر الرسولي(٦٢٦-٦٤٧هـ/١٢٢٨-١٢٤٩م).[٩٤]

وظلت الحجاز خاضعة لسلطتهم إلى أن حج السلطان المظفر الرسولي في سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) حيث عاد من حجته تلك دون أن يترك حامية عسكرية بعد أن

أعلن اعترافه بقوة المماليك من على صعيد عرفات لما قدم أعلام المماليك على أعلامه،[٩٥]وما هذا إلا لأنه أدرك بأن المماليك لن يدعو الحجاز تحت سيادته، فأثر الانسحاب قبل الصدام معهم.

ومع هذا الانسحاب الرسولي من الحجاز الذي جاء بدون صدام مع المماليك، وهذا الانتقال السلمي للسيادة على الحجاز من الرسوليين إلى المماليك إلا أنه حدثت بعض الممارسات من الرسوليين تجاه الحجاز تسببت في توتر العلاقة بين الطرفين والتهديد بغزو اليمن. ولعلنا من خلال استعراض رسائل التحذير والتهديدات المملوكية بغزو اليمن نجد أن هناك موقفين فقط كان التدخل الرسولي فيهما في مكة هو الباعث الرئيس لتلك التهديدات، وموقف ثالث نتج عنه أسر السلطان الرسولي المجاهد.

فالموقف الأول حدث أثناء التنافس بين الشريفين إدريس بن قتادة،[٩٦]وأبي نمي محمد بن أبي سعد[٩٧] على الانفراد بإمرة مكة حين قام الشريف أبو نمي بشكوى إدريس بن قتادة لدى السلطان الظاهر بيبرس بحجة أنه أظهر الميل للسلطان المظفر الرسولي، ولهذا أسرع السلطان الظاهر بيبرس بالتوجه إلى مكة عام (٦٦٧هـ/١٢٦٩م) لأداء فريضة الحج ولحل المشكلة التي وقعت بين الشريفين، و سلك طريق الحج الشامي،[٩٨] ليبين للسلطان المظفر سهولة الوصول إلى مكة من أقصر الطرق، وبعث اليه من هناك برسالة تحذير وتهديد قال فيها:" سطرتها من مكة وأخذت طريقها في سبع عشرة خطوة ..". [٩٩]

أما الموقف الثاني فكان في عام (٦٩١هـ/١٢٩٢م) حينما حدث خلاف بين السلطان المملوكي الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٤م) وأمير مكة الشريف أبي نمي بن أبي سعد، فأظهر الأخير الميل للسلطان المظفر الرسولي ودعا له بالخطبة،[١٠٠]مما أثار غضب السلطان الأشرف خليل وتسبب في توتر العلاقة بينه والسلطان المظفر الرسولي فأرسل إليه برسالة تحذير وتهديد بغزو اليمن.[١٠١]

أما الموقف الثالث فقد حدث أثناء النزاع بين الشريفين عجلان بن رميثة وأخيه ثقبة الذي هرب إلى ناحية اليمن وعاد إلى مكة بصحبة السلطان المجاهد الرسولي أثناء قدومه للحج سنة(٧٥١هـ/١٣٥٠م)، فأشاع الشريف عجلان لدى أمير الحاج المصري أن السلطان المجاهد يريد إقامة ثقبة أميراً على مكة بعد رحيل الحاج المصري، وألح عليهم بضرورة القبض عليه. فأسر أمير الحاج المصري السلطان المجاهد واصطحبه معه إلى القاهرة، ثم أطلق سراحه بعد ذلك.[١٠٢]

وفيما عداء هذا نجد أن الرسوليين تكررت تدخلاتهم في شؤون الحجاز، وكان لبعضها تأثيرات بالغة على أوضاعه السياسية والاقتصادية، ولم توجه لهم بسببها تهديدات أو تحذيرات من المماليك، كما أنها لم تؤثر على العلاقات بينهما، ولعل أبلغ مثال على هذا ما قام به السلطان الرسولي الناصر أحمد(٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٤م) حين منع السفن اليمنية التجارية من التوقف في ميناء جدة نكاية بالشريف حسن بن عجلان لما ساءت العلاقة بينهما سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م).[١٠٣]بل ذهب إلى أبعد من هذا ووقف مع الشريف رميثة بن محمد الحسني،[١٠٤] ودعمه بالأموال ليتقوى على مواجهة الشريف حسن بن عجلان أثناء الخلاف بينهما سنة(٨١٧هـ/١٤١٤م).[١٠٥]ولم يكن رد المماليك على هذين الموقفين إلا أن سعوا للتوسط للشريف حسن بن عجلان لدى السلطان الناصر أحمد الذي قبل الوساطة وصفح عنه.[١٠٦]

ولعل هذا التغير في موقف المماليك من التجاوزات الرسولية وتدخلاتهم في الحجاز مثار تساؤل ؟ وللإجابة عليه يظهر أن المماليك في أيام قوة الدولة الرسولية كان لديهم تخوف من أن يحاول الرسوليون استعادة نفوذهم على الحجاز سيما وأنهم كانوا يجدون ميلا إليهم من بعض اشراف مكة لما كانوا يغدقونه عليهم من الأموال والهبات. وفيما بعد عهد السلطان المجاهد الرسولي ولما بدأت الدولة الرسولية تعاني من كثرة الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة على السلطة لم يعد المماليك يخشون تدخلاتهم في الحجاز لانشغالهم عنه بمشكلاتهم الداخلية.

ومن جهة اخرى تجدر الإشارة إلى أنه حتى في فترة قوة الدولة الرسولية بذل سلاطينها الكثير من أعمال البر والخير في مكة وأرسلوا كسوة الكعبة أكثر من مرة،[١٠٧] ولم يؤثر ذلك على علاقتهم مع المماليك، بل نجد أن المماليك سمحوا بالدعاء للسلاطين الرسوليين في مكة فترات طويلة،[١٠٨] مما يشير إلى أن المماليك في فترة قوة الدولة الرسولية كان يثيرهم فقط تدخل الرسوليين في النزاع أو الخلاف بين أشراف مكة مما قد يتسبب في ترجيح كفة طرف على الآخر، أو تدخلهم في الخلاف بين أشراف مكة والسلطان المملوكي مما قد يتسبب في إضعاف نفوذ المماليك على الحجاز، وبالتالي استعادة الرسوليين نفوذهم عليه.

ثالثاً،عدم الاعتراف بالخلافة العباسية بالقاهرة:

حينما قام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بإحياء الخلافة العباسية بالقاهرة في ١٣/٧/ ٦٥٩هـ الموافق١٢/٦/١٢٦١م، [١٠٩] أرسل بكتب الخليفة إلى البلاد الإسلامية ومن ضمنها اليمن للدعوة إلى مبايعته، غير أن الرسوليين لم يستجيبوا لذلك لأن اعترافهم بالخليفة العباسي والدعاء له بمثابة إعلان الولاء والتبعية للدولة المملوكية. ولتأكيد عدم اعترافهم به استمروا فترة طويلة بالدعاء للخليفة العباسي المستعصم(٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) المقتول على أيدي المغول، إذ دلت بعض المسكوكات الرسولية على استمرار الدعاء له الى ما بعد سنة(٨٤٣هـ/ ١٣٤٩م)،[١١٠]وقيل بل استمر إلى ما بعد سنة(٨٥٠هـ/١٤٤٠م).[١١١]

وقد اعتبر المماليك هذا الموقف من الرسوليين موقفاً عدائياً ما أن تتوتر العلاقة بينهما إلا وجعلوه ذريعة لتهديدهم، ولهذا لما تأزمت العلاقة بين السلطان الأشرف بن قلاوون والسلطان المظفر الرسولي وصفه الأول " بالخارجي" لخروجه عن طاعة الخليفة وعدم مبايعته. [١١٢] ولما توترت العلاقة بين السلطان المؤيد الرسولي

والسلطان الناصر محمد بن قلاوون بعث الخليفة المستكفي بالله كتاباً إلى السلطان المؤيد الرسولي حذره فيه من الاستمرار بالدعاء للخليفة المستعصم.[١١٣]

وعلى العكس من ذلك حينما تتحسن العلاقة بين الطرفين نجد أن المماليك يخاطبون السلاطين الرسوليين بالقاب الملوك والسلاطين و " المقام العالي".[١١٤] مما يدل على أن عدم مبايعة الرسوليين للخليفة العباسي بالقاهرة ليست هي الدافع الحقيقي وراء التهديدات بغزو اليمن وإنما استغلها المماليك كعامل ضغط على الرسوليين لإظهارهم أمام المسلمين بالخارجين عن طاعة الخليفة وأنهم فاقدون للشرعية في حكم اليمن التي قلد الخليفة العباسي بالقاهرة أمرها للسلطان المملوكي .

رابعاً، مضايقة التجار:

لما كان اقتصاد الدولتين المملوكية والرسولية قائم في الأساس على التجارة الدولية المارة عبر البحر الأحمر، فقد اهتما بالمحافظة على آمنه وتشجيع التجار على المرور من خلاله، ولهذا ادرك كل منهما أهمية الأخر بالنسبة له، وحرصا على بناء علاقة قوية بينهما قامت على تبادل المصالح للاستفادة من هذا الطريق.

ومع أن الرسوليين قدموا الكثير من التسهيلات للتجار للمرور عبر البحر الأحمر والتوقف في موانئهم،[١١٥] إلا أنه كثيرا ما حدثت من بعضهم التجاوزات والمضايقات للتجار خاصة بما يتعلق بتقدير العشور والضرائب المفروضة عليهم،[١١٦] وهذا ما أزعج المماليك واضطرهم إلى التدخل الذي بلغ في بعض الأحايين إلى التهديد بغزو اليمن.

وكل ما تمتع التجار بأكبر قسط من التسهيلات والحرية ازدادت أواصر العلاقة بين الرسوليين والمماليك، فإذا كانت تلك العلاقة أقوى ما كانت عليه زمن السلطان المملوكي الظاهر برقوق(٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٩م)[١١٧] والسلطان الرسولي الملك الأشرف إسماعيل(٧٧٨-٨٠٣هـ/١٣٧٦-١٤٠٠م) فقد بعث الأخير

بكتاب إلى الأول في سنة (٧٩٨هـ-١٣٩٥م) بين فيه منزلة رئيس تجار مصر الكارمي برهان الدين المحلي عنده وعند والده الملك الأفضل الرسولي (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) وأكد له إعفاء تجارته من العشور.[١١٨] ولما علم السلطان الأشرف إسماعيل بوفاة السلطان الظاهر برقوق أمر بالصلاة والقراءة عليه سبعة أيام في تعز وزبيد وعدن.[١١٩]

وإذا ما نظرنا إلى رسائل التهديد والتحذير التي بعث بها المماليك إلى الرسوليين نجد أن معظمها إما نتيجة لشكوى تقدم بها تجار الكارم، أو أنها أرسلت معهم، مما يدل على أن الأمر متعلق بهم، أو أن تلك التهديدات تزامنت مع ما تذكره المصادر من مضايقات تعرض لها التجار في موانئ اليمن.[١٢٠]

وإذا كان من المرجح أن معظم الأزمات في العلاقة بين الرسوليين والمماليك كانت بسبب ما يتعرض له تجار الكارم من مضايقات في موانئ اليمن، فإنه من المؤكد أن معظم تلك الأزمات انفرجت على يد أولئك التجار الذين ما أن يتأزم الموقف بين الدولتين حتى سعوا في الصلح بينهما وإنهاء الأزمة، فكانوا في الغالب هم السفراء في تبادل الهدايا والرسائل بين الدولتين.[١٢١] إلا أن تجاوزات سلاطين الدولة الرسولية المتأخرين ضد التجار بلغت حداً لم يعد يطيقه أولئك مما اضطرهم إلى محاولة تجاوز الموانئ اليمنية وعدم التوقف بها، فكان أول من قام بتلك المحاولة تاجر يعرف بـ" الخواجا إبراهيم" سنة (٨٢٥هـ/١٤٢٢م) إذ تمكن من الوصول إلى ميناء جدة دون المرور بموانئ اليمن.[١٢٢] ومع أنه في تلك المرة اصطدم بجشع شريف مكة حسن بن عجلان(٧٩٧-٨٢٩هـ/١٣٩٤-١٤٢٥م) الذي صادر ما جاء به من البضائع،[١٢٣] إلا أنه وجد التشجيع بعد ذلك من السيد على بن عنان الحسني فعاد إلى التوقف في جدة،[١٢٤]وتبعه عدد كبير من التجار حتى بلغ عدد المراكب التي دخلت ميناء جدة سنة(٨٢٩هـ/١٤٢٦م) أربعين مركباً.[١٢٥]

وحاول الرسوليون الوقوف في وجه أولئك التجار وإجبارهم على التوقف في عدن، فأصدر السلطان الرسولي الظاهر يحيى بن إسماعيل(٨٣١-٨٤٢هـ/١٤٢٨-١٤٣٩م) [١٢٦] في سنة (٨٣٣هـ/١٤٣٠م) أمراً إلى نوابه في عدن لرصد السفن عند باب المندب وإعادتها إلى عدن.[١٢٧]

ومع أن السلطان المملوكي برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م) حذر السلطان الرسولي الظاهر يحيى من منع السفن من تجاوز الموانئ اليمنية وهدده بغزو اليمن إلا أن السلطان الظاهر يحيى لم يأبه بهذا.[١٢٨] مما جعل المماليك يلجؤون الى سياسية أخرى في مواجهتهم مع الرسوليين تمثلت في فرض حصار اقتصادي على اليمن مستغلين بذلك رغبة التجار تجاوز موانئ اليمن والتوقف في ميناء جدة، ولهذا أصدر السلطان المملوكي برسباي عام(٨٣٨هـ/١٣٤٥م) مرسوماً بمصادرة البضائع الواردة من اليمن إلى جدة، ومضاعفة العشور على البضائع الواردة عن طريق اليمن مع التجار الشاميين أو المصريين.[١٢٩]

فكان هذا القرار ضربة قاضية أدت الى تلاشي الدور التجاري لعدن، وانهيار اقتصاد الدولة الرسولية التي لم تعش بعد هذا القرار سوى سنوات قليلة لم تتجاوز العشرين سنة.

موقف الرسوليين من التهديدات المملوكية:

في بداية قيام دولة المماليك كان لدى الرسوليين تخوف كبير جداً من قيامهم بغزو بلادهم،[١٣٠]ولهذا حرصوا على عدم الاحتكاك بهم وانسحبوا من أمامهم من الحجاز دون أي مقاومة،[١٣١] وحينما جاءت رسائل التهديد إلى السلطان المظفر يوسف الرسولي من السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م) ومن السلطان الأشرف بن قلاوون سنة(٦٩١هـ/١٢٩٢م) لم يرد على رسائلهم بشيء محاولة منه عدم تصعيد الموقف.[١٣٢] وفي الوقت نفسه حملها محمل الجد، ومنع تجار الكارم

الذين يترددون بين اليمن ومصر من استخدام مراكبهم البحرية الخاصة خوفاً من استخدامها بهجوم عسكري مباغت من قبل المماليك، وألزم أولئك التجار باستخدام مراكب صغيرة خاصة بالدولة لا تتسع لحمل العساكر والخيول بعد أخذ العهود والمواثيق عليهم أن لا يحملوا معهم في المراكب أحد من عساكر مصر أو من يشك فيه، وإذا ما اكرهوا على حمل أحد من أولئك فعليهم إغراق المراكب في الطريق وليس عليهم مطالبة بالتعويض، واستثنى من ذلك التجار المعروفين بالثقة لديه والمتأكد من إخلاصهم للدولة بشرط أن لا يصطحبوا معهم في مراكبهم أحد غير أبنائهم وإخوانهم وغلمانهم.(١٣٣)

ومنع السلطان المظفر يوسف أولئك التجار من حمل القناء ـ الرماح ـ في المراكب إلا وهي مكسرة حتى لا تستخدم كسلاح ضد العسكر الرسوليين، وزيادة في الحرص للسبب ذاته منع استخدام القناء في الألواح المصفوفة على ظهور المراكب التي يستخدمها الكارم لتحميل البضائع وأمر باستخدام العيدان المكسرة بدلاً منها.(١٣٤)

وأما ما تشير إليه المصادر المصرية بأن السلطان المظفر يوسف الرسولي أرسل إلى السلطان الظاهر بيبرس في سنة(٦٦٦هـ/١٢٦٧م) يطلب منه قميصاً من ملابسه ليكون أماناً له، فبعث إليه بالقميص ومعه بعض آلة الحرب الخاصة به وكتب إليه: " قد سيرنا لك آلة الحرب مما لاصقه جسدنا في مواطن الجهاد"،(١٣٥) أو تلك الروايات التي تذكر أن السلطان المظفر الرسولي بعث سنة(٦٨٠هـ/١٢٨٢م) إلى السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨–٦٨٩هـ/٧٩ –١٢٩٠م) يسأله أماناً له ولأولاده، فأرسل إليه المنصور قلاوون قميص أمان كتب عليه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا أمان من الله سبحانه وتعالى، وأمان سيدنا محمد ﷺ، وأماننا لأخينا الملك المظفر شمس الدين والدنيا يوسف بن عمر صاحب اليمن المحروس، إنا راعون له ولأولاده، مسالمون من سالمهم معادون من عاداهم"،(١٣٦) فلعلها روايات مبالغ بها أرادت من

خلالها بعض المصادر المصرية الإيحاء بأن الرسوليين أتباع للمماليك وخاضعون لهم.

فإذا كان السلطان المظفر يطلب مناشير الأمان خوفاً من الدولة المملوكية، فكيف يعارضهم ويرفض الاعتراف بالخليفة العباسي بالقاهرة؟ أليس الأجدر به إذا كان فعلاً يخاف من المماليك بالقدر الذي تصوره المصادر المصرية أن يعترف بخليفتهم بالقاهرة ليكون ذلك أكثر أمانا له من عبارات تكتب على قميص يرسل إليه؟ ولماذا فقط السلطان المظفر يوسف وحده من بين السلاطين الرسوليين هو الذي يطلب تلك المناشير؟ حيث لا تشير المصادر إليها سوى في الإشارتين السابقتين، ومعلوم أن الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر يوسف كانت أقوى منها في عهود السلاطين الذين من بعده بينما الدولة المملوكية في عهده كانت في بداية قيامها، كما أننا لا نجد لمثل تلك الأخبار أي ذكر في المصادر اليمنية، فهل يمكن أن تكون جميعها قد تواطأت على السكوت عنها!!

وكما أخذ السلطان المظفر يوسف التهديدات المملوكية مأخذ الجد فقد حملها ابنه السلطان المؤيد داود على المحمل ذاته، فما أن سمع بضخامة الحملة التي توجه به الأمير سلار إلى الحج سنة(٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م) حتى توجه بعساكره إلى زبيد تحسباً لأي محاولة قد يقوم بها سلار لغزو اليمن،[١٣٧] مع أن المصادر أكدت أن تلك الحملة لم تكن حملة عسكرية وإنما كانت حملة مشحونة بالدقيق والسكر وغيرها من الأطعمة التي أراد سلار توزيعها على أهل الحرمين ليعمل خيراً لم يسبقه أحد إليه.[١٣٨]

ولما اضطربت الأوضاع الداخلية في مصر نتيجة تنافس الأمراء على كرسي السلطة بسبب صغر السلطان الناصر محمد بن قلاوون في فترة سلطته الأولى (٦٩٣-٦٩٤هـ/١٣٩٤-١٣٩٥م) بدأت المخاوف الرسولية من غزو المماليك لبلادهم

تقل بكثير عما كانت عليه في السابق، ولهذا لا تشير المصادر إلى أي تدابير من قبل الرسوليين توحي بأخذهم الحيطة والحذر من هذا الخطر، بل على العكس من ذلك نجد أن السلطان المجاهد علي الرسولي يستنجد بالعساكر المملوكية لنجدته ضد خصومه في الداخل.(١٣٩)

وإذا كان السلطان المظفر يوسف الرسولي وابنه السلطان المؤيد داود حرصا على عدم استثارة المماليك ضدهم ولم يردا على تهديداتهم بشيء، فإنا السلاطين الرسوليين المتأخرين لم تعد تلك التهديدات ترهبهم أو تخيفهم. ولهذا قام السلطان المنصور عبدالله الرسولي (٨٢٧-٨٣٠هـ/١٤٢٣-١٤٢٦م) بطرد الأمير المملوكي ورفاقه الذين أرسلهم السلطان برسباي سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٦م)، وهددهم بالقتل لما شك في المهمة التي جاءوا من أجلها حين قتل العسكر المصاحبون لهم بعض رجاله في حلي بن يعقوب.(١٤٠)وقام السلطان الرسولي الظاهر يحيى بن إسماعيل(٨٣١-٨٤٢هـ/ ١٤٢٨-١٤٣٩م) في سنة (٨٣٣هـ/١٤٣٠م) بمنع التجار من تجاوز ميناء عدن إلى ميناء جدة وأمر بملاحقة من يخالف ذلك دون أن يكترث بتهديدات المماليك له بغزو بلاده إن لم يكف عن ذلك.(١٤١)

وفي هذا الشأن نلاحظ أن المماليك في عهد قوتهم مع أنهم كانوا يبادلون الرسوليين الهدايا والسفارات إلا أن تلك الهدايا كانت أقل ثمناً بكثير جداً من الهدايا الرسولية وفي الغالب ترسل مع رسل الهدية الرسولية أنفسهم.(١٤٢)وأما فيما بعد عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فإنا نلاحظ أن المماليك بدأ لديهم اهتمام أكثر بالهدايا والسفارات التي أرسلوها إلى الرسوليين حيث أصبحت هداياهم أكثر قيمة وثمناً وتكراراً من قبل.(١٤٣) ولعل هذا لم يكن لولا شعور المماليك بأن تهديداتهم بغزو اليمن لم تعد تخيف الرسوليين كما كان عليه الحال من قبل.

الخلاصـــــة

في ختام هذا البحث يمكن ايجاز أهم نتائجه التي تبينت للباحث كما يلي :

١/ كانت العلاقة بين المماليك والرسوليين سلمية في أغلب فتراتها، وكانت مبنية على تبادل المصالح فيما بينهما حيث أدرك كل منهما أهمية الأخر بالنسبة له لتنشيط التجارة الدولية المارة عبر البحر الأحمر الذي كان يمثل الشريان الاقتصادي لكل منهما.

٢/ لم يعترف الرسوليون بالخليفة العباسي بالقاهرة واستمروا بالدعاء للخليفة المستعصم العباسي الذي منحهم الشرعية بحكم اليمن، حتى لا يدخلوا تحت التبعية المملوكية ولتظل لهم السيادة بحكم اليمن. ولم يؤثر ذلك على علاقتهم بالمماليك إلا حينما تتوتر العلاقة بينهما فيصفهم المماليك بالخارجين عن طاعة الخليفة ويطعنون بشرعية حكمهم لليمن من آجل إثارة الرأي العام ضدهم.

٣/ لما أدرك الرسوليون قوة المماليك بعد انتصارهم في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، واحتضانهم للخلافة العباسية في القاهرة، تخلوا لهم عن السيادة على الحجاز بدون صدام. غير أنهم لم يغيبوا عن المشهد السياسي فيه، ولم يقطعوا صلتهم به أملا في أن يذكر اسمهم في الخطبة في الحرم الشريف، وأن تكون لهم مشاركات ومساهمات مذكورة في خدمته، ولم يعارضهم المماليك على هذا. وإنما في بداية قيام دولة المماليك وإبان قوة الرسوليين وقف سلاطين الدولة المملوكية بقوة وبكل حزم أمام تدخلات الرسوليين فيما بين أشراف مكة خوفا من أن يؤدي ذلك إلى إضعاف سلطتهم على الحجاز ويعيد للرسوليين سيادتهم عليه. ولهذا هددوهم بغزو بلادهم أكثر من مرة إن لم يكفوا عن ممارساتهم تلك. ولما انشغل الرسوليون فيما بينهم من صراعات داخلية لم تعد تدخلاتهم في الحجاز تثير المماليك .

٤/ حرص الرسوليون على إرسال الهدايا الثمينة والمبالغ فيها إلى المماليك للتعبير عن استمرارهم على العلاقة الجيدة بهم، ولمهادنتهم والبعد عن معاداتهم خوفا من تدخلهم في شؤن بلادهم. ولم تكن تلك الهدايا مفروضة عليهم، وليسوا ملزمين بها كم تصور ذلك بعض المصادر المصرية، بل إنها انقطعت فترات طويلة دون أن يؤثر ذلك على العلاقة بينهما. وبادلهم المماليك تلك الهدايا رغبة منهم في توثيق عرى العلاقة بينهما لما في ذلك من انعكاسات ايجابية على تنشيط التجارة الدولية عبر البحر الأحمر.

٥/ حينما تتوتر العلاقة بين الماليك والرسوليين يصر المماليك في مخاطباتهم للرسوليين على طلب الهدية، مما جعل بعض المصادر تذهب إلى أنها هي السبب وراء التهديدات بغزو اليمن، بينما الذي ظهر للباحث أن المماليك أصروا على طلبها لأن إرسالها يدل على إذعان الرسوليين لمطالبهم، ولما يجنيه السلاطين المماليك منها من مكاسب مالية كبيرة.

٦/ تبين من خلال هذه الدراسة أن السبب الرئيس وراء التهديدات المملوكية بغزو اليمن هو ما كان يتعرض له تجار الكارم من مضايقات من بعض السلاطين الرسوليين، والتضييق عليهم في تحصيل الضرائب، لما لذلك من آثار سلبية على الحركة التجارية عبر البحر الأحمر التي تمثل المصدر الأساس لاقتصاد الدولة المملوكية.

٧/ لما كان تجار الكارم وراء التهديدات المملوكية بغزو اليمن فقد كانوا هم سفراء السلاطين المماليك إلى الرسوليين، ولم يتمكن الرسوليون من حل الأزمات التي تسببت في تهديدهم إلا من خلال التفاوض مع أوليك التجار الذين حرصوا على إنها الأزمات بين البلدين بالحلول السلمية لمصلحة تجارتهم.

٨/ لم يكن المماليك جادين بغزو اليمن وإن صدرت الأوامر من بعضهم بإعداد الجيوش وتجهيزها لصعوبة تلك المهمة وخطورتها. أما الرسوليون ففي البداية أثارت تلك التهديدات مخاوفهم وارهبتهم، ولهذا حملوها محمل الجد وأعدوا جيوشهم للمواجهة، وشددوا الرقابة على تجار الكارم ومنعوهم من استخدام مراكبهم الخاصة خوفا من استخدامها في نقل العساكر المملوكية في هجوم مباغت عليهم، ولما اضطربت أوضاع المماليك الداخلية والخارجية وتأكد للرسوليين انشغالهم عنهم لم تعد تلك التهديدات تثيرهم.

٩/ حينما لم تعد تهديدات المماليك تخيف الرسوليين لم يجد تجار الكارم بد من البحث عن حل أخر لمشكلاتهم مع الرسوليين فوجدوا ذلك في تجاوز موانئهم، ولم ينجح الرسوليون في منعهم من ذلك لأن المماليك وقفوا معهم وشجعوهم، ومنعوا التعامل مع تجار اليمن، فاصبح الرسوليون في عزلة اقتصادية أدت إلى سقوط دولتهم.

والحمد لله كما يحب ربنا ويرضى ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أله وصحبه أجمعين.

الحواشي والتعليقات

(١) السلطان المظفر يوسف بن عمر، انتزع السلطة من أخيه الأصغر منه المفضل قطب الدين بعد مقتل والده سنة(٦٤٧هـ/١٢٥٠م)، وبلغت الدولة في عهده اقصى اتساعها، وتوفي سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م). بدر الدين محمد اليامي ابن حاتم(ت بعد ٧٠٢هـ/١٣٠٣م):**السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، تحقيق: ركس سمث (كمبردج، ١٩٤٧م)، ص٢٣٤-٢٩٧؛ محمد بن يوسف الجندي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق محمد بن علي الأكوع (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٦هـ)،١/٥٤٥؛ تاج الدين عبد الباقي ابن عبد المجيد (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م): **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: مصطفى حجازي (بيروت: دار العودة، ١٩٨٥م)،ص٩٠.

(٢) ابن حاتم: **السمط الغالي**، ص٥٢٠ – ٥٢٩؛ أبو الحسن علي بن الحسن لخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م): **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، عني بتصحيحه وتنقيحه محمد بسيوني عسل(بيروت: دار صادر)١/٢١٢؛ عبدالرحمن بن علي ابن الديبع (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م): **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع (القاهرة: المطبعة السلفية) ص٨٣ ، وعن السلطان المظفر أنظر: فارس الذكري، **الأوضاع الاقتصادية للدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر يوسف بن عمر** ، رسالة دكتوراه غير منشورة (الرياض :جامعة الملك سعود، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م).

(٣) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية** ، ١/ ٢٨٩؛ ابن الديبع : **قرة العيون** ، ص ٣٣٦.

(٤) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ٢/٢٤٦،٢٤٢؛ تقي الدين ابي العباس أحمد المقريزي

(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية) ٦/ ١٥٤، ٤١٩.

(٥) تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) : **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا(بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ٤/ ٩٧؛ النجم عمر بن محمد بن فهد (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م): **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت (مكة المكرمة: جامعة أم القرى) ٣/ ٤٢٨.

(٦) ابن عبد المجيد: **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، ص١٣٨؛ ابو الحسن علي الخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م): **العقد الفاخر الحسن في طبقات اكابر أهل اليمن**، تحقيق: عبد الله بن قايد العبادي واخرون، ط١(صنعاء:الجيل الجديد، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ٤/٢٥٥٩؛ **العقود اللؤلؤية**، ٢/ ٣٧ ؛ المقريزي : **السلوك** ، ٣/٧٩؛ جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) : **النجوم الزاهر في ملوك مصر والقاهرة** ، تقديم : محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ٩/ ٦٥-٦٨.

(٧) محي الدين بن عبد الظاهر(ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م): **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق: مراد كامل(القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر: ١٩٦١م) ص٢٧٢ ؛ **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، ط١ (الرياض،١٣٩٦هـ) ص١٣٥؛ محمد عبد العال أحمد : **بنو رسول وبنو طاهر** (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٠م) ص٤٠.

(٨) ورد في رسالة تهديد موجهة من المماليك لأحد السلاطين الرسوليين: " فقد منعناك التصرف في البلاد والنظر في أحكام العباد حتى تطأ خيلنا مشمخرات

حصونك وتعجل حينئذ ساعة منونك". ركن الدين بيبرس الدودار(ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م): **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: دونالد.س، ريتشاردز (بيروت: الشركة المتحدة، ١٤١٩هـ) ص٣٩٩.

(٩) أبو القاسم أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** (بيروت: دار الكتب العلمية، ٩٨٧م) ٣٤٩/٧.

(١٠) بدر الدين محمود بن أحمد العيني(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م):**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق، محمد محمد آمين (دارالكتب والوثائق القومية: القاهرة، ١٤١٠هـ)، ٤٦٣/٤؛ابن تغري بردي:**النجوم الزاهرة**، ١٧٧/٨ .

(١١) مجهول: **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف**، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم (صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية: ج١: ٢٠٠٣م، ج٢ :٢٠٠٥م) ١/ ٤٩٢-٤٩٣

(١٢) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية** ، ١/ ٢٨٩.

(١٣) قطب الدين أبي الفتح موسى اليونيني (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م): **ذيل مرآة الزمان** (الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية: ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) ٣٦٦/١؛ أبو بكر بن عبدالله الدواداري(ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م):**كنز الدرر وجامع الغرر**،تحقيق،أولرخ هارمان (القاهرة: ١٣٩١م) ٤٧/٨.

(١٤) ابن عبد الظاهر: **الروض الزاهر** ، ص١٣٥؛ المقريزي : **السلوك** ، ٦١/٢ ؛ العيني: **عقد الجمان**، ٤٦/٢.

(١٥) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ٣٢/١.

(١٦) السلطان سيف الدين أبو المعالي و أبو الفتوح الصالحي النجمي، اشتري بالف

دينار فعرف بالألفي، تولى نيابة السلطة للملك سلامش بن الظاهر، وكان هو المتصرف بأمور الدولة فخلع سلامش، وبويع بالسلطة سنة(٦٧٨هـ/١٢٧٩م)، وأستمر بها إلى وفاته سنة(٦٨٩هـ/١٢٩٠م). محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م): **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤٣٣هـ)،٢٠٣/٣؛ المقريزي: السلوك،١٥٧/٤.

(١٧) ابن عبد الظاهر: **الروض الزاهر**، ص١٠٠؛ محمد بن عبدالرحمن بن الفرات (ت٨٠٧هـ/١٤٠٣م): **تاريخ ابن الفرات**،تحقيق: قسطنطين زريق،نجلاء عز الدين (بيروت:المطبعة الأمريكية،١٩٣٩م)٤٤/٧، ٢٢٢؛المقريزي: **السلوك**،١٥١/٢.

(١٨)ابن عبد الظاهر : **تشريف الأيام والعصور** ، ص٢٧٢، العيني: **عقد الجمان**، ص٢١٠/٣.

(١٩) السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، تولى السلطة بعد وفاة والده سنة(٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، وتمكن من طرد الصليبيين من عكا، وأثناء رحلة صيد سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٤م) غدر به بعض رجاله بقيادة بيدرا الذي بويع بالسلطة من بعده.الكتبي:**فوات الوفيات**،٤٠٦/١؛ المقريزي:**السلوك**،١٥٧/٤.

(٢٠) ابن عبد الظاهر : **تشريف الأيام والعصور** ، ص٢٧٢، العيني: **عقد الجمان**، ٢١٠/٣.

(٢١) قُوص: مدينة كبيرة تقع على نهر النيل جنوب القاهرة،وهي محطة للتجار القادمين من عدن.ياقوت:**معجم البلدان**،٤١٣/٤.

(٢٢)المقريزي: **السلوك**،٢٤٧/٢؛ العيني: **عقد الجمان**،٢٠٤/٣؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**،١٥/٨.

([٢٣])المقريزي :**السلوك**، ٢٤٢/٢ ؛ ابن فهد: **إتحاف الورى**، ١٢٣/٣.

([٢٤])ابن عبد الظاهر: **تشريف الأيام والعصور**، ص٢٧٢؛ العيني: **عقد الجمان**، ٢١٠/٣.

([٢٥]) ابن عبد الظاهر: **تشريف الأيام والعصور**، ص٢٧٢؛ العيني: **عقد الجمان**، ٢١٠/٣. وكلمة "قز" تعني "بنت" في اللغة التركية ،أنظر: محمد أحمد دهمان: **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** (بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ) ص١٢٣.

([٢٦]) عماد الدين إدريس الحمزي (ت ٧١٤هـ/١٣١٤م): **كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار**، تحقيق: عبدالمحسن المدعج (الكويت: مؤسسة الشرع العربي،١٩٩٢م) ص١٢١؛ الجندي: **السلوك** ، ٥٥٣/٢؛ ابن عبد المجيد: **بهجة الزمن**، ص٩٩.

([٢٧]) الملك الأشرف عمر بن السلطان المظفر يوسف بن السلطان المنصور عمر الرسولي، كان والده السلطان المظفر يعتمد عليه في مواجهة الكثير من المشكلات ،وقبيل وفاته فوض إليه الأمر في إدارة شؤون الدولة ،ولما توفي والده في سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٥م) خرج عليه أخوه المؤيد وتمكن الأشرف من سجنه، ولم يمكث الأشرف في الحكم طويلاً حيث وافته منيته في سنة(٦٩٦هـ/١٢٩٧م) وتولى السلطة من بعده أخوه المؤيد ،ويذكر للسلطان الأشرف الكثير من أعمال الخير والبر واشتهر بالعدل واللطف بالرعية وتلمس حاجاتهم ، أنظر عنه: ابن حاتم : **السمط** ،ص٥٦٦؛ الجندي :**السلوك**، ٤٥٣/٢؛ابن عبدالمجيد: **بهجة الزمن**، ص١٠٠.

([٢٨]) المؤيد داود بن المظفر يوسف تولى قيادة جيوش والده في بعض حروبه مع الزيدية ، ولما تولى أخوه الأشرف السلطة بعد وفاة والده نازعه عليها فسجنه أخوه ، ولم يمض في السجن سوى فترة قصيرة حيث توفي أخوه فاجمع كبار رجال الدولة على مبايعته سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٧م، وواجه خلال حكمه ثورات داخلية قام بها بعض اخوته وافراد من الأسرة الحاكمة، كما واجه بقوة وحزم اطماع الأشرف الزيدية وامراء المخلاف السليماني، وانجز في عهده العديد من المشاريع العمرانية من مساجد ومدارس وقصور، وظل في السلطة إلى وفاته سنة(٧٢١هـ/١٣٢١م). محمد بن ابراهيم الجزري(ت٧٣٨هـ/١٣٧٧م): **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه** "، المعروف بـ " تاريخ ابن الجزري " ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري(بيروت:المكتبةالعصرية: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦) ٨٦/٢؛ الحمزي : **كنز الأخيار**، ص١٣٦ وما بعدها؛ ابن عبد المجيد: **بهجة الزمن** :١٧٧؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية** ،٣٥٨/١.

([٢٩]) المقريزي :**السلوك**، ٢/ ٢٤٩؛ العيني : **عقد الجمان** ، ٢٠٤/٣

([٣٠]) السلطان حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري، اتفق الأمراء المماليك على مبايعته بالسلطة بعد عزل السلطان الناصر محمد عام(٦٩٦هـ/١٢٩٧م) واشترطوا عليه أن لا ينفرد برأية عنهم، وتلقب بالمنصور،إلا أنه أساء التصرف مع الأمراء فقتلوه سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م) وأعادوا السلطان الناصر محمد إلى السلطة للمرة الثانية. انظر،الدوادار: **زبدة الفكر**، ص٣١٣؛ أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي (٧٦٨هـ/١٣٦٧م)**:مرأة الجنان وعبرة اليقظان**، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)١٧٢/٤.

([٣١]) أحمد : **بنو رسول وبنو طاهر**، ٤٠٠؛ عبد العزيز راشد العبيدي، **العلاقات الخارجية لدولة المماليك الأولى في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون** ، رسالة دكتوراه غير منشورة (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)،ص٢٧، ولم يذكرا المصدر،وقد بذل الباحث جهده للوقوف على مصدر الخبر ولم يجده في المصادر المتوفرة.

([٣٢]) السلطان الناصر أحمد بن الملك المنصور قلاوون، تولى السلطة بعد مقتل أخيه الملك الأشرف خليل سنة(٦٩٣هـ/١٢٩٤م) وهو ابن ثمان سنين، فتغلب عليه بعض الأمراء وعزل عن الحكم بعد أحد عشر شهراً، ثم عاد إلى السلطة مرة ثانية سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٩م)، ثم اعتزلها سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م) ثم عاد إليها وظل بها إلى وفاته سنة (٧٤١هـ/١٣٤١م)، وقد وصف بشدة الذكاء ودقة الملاحظة. شمس الدين الشجاعي (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م): **تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده**، تحقيق: سلطانة بنت ملاح الرويلي، رسالة ماجستير(غير منشورة)، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨م، ص ٩٠؛ المقريزي: **السلوك**، ٣٠٩/٣.

([٣٣]) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ٣٣٤/٧. وظن أحد الباحثين أن تلك التهديدات كانت موجهة للسلطان المجاهد الرسولي، أنظر، خالد العيسى: **علاقة سلاطين بني رسول بمصر**، رسالة ماجستير غير منشورة (الرياض:جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ)، ص١٣٥، بينما القلقشندي وإن لم يسم السلطان الرسولي الذي أرسلت إليه تلك التهديدات إلا أنه أشار إلى أن رسالة السلطان الناصر محمد الأولى كانت للبشارة بانتصار المماليك في حروبهم مع الأرمن و بانضمام سلامش نائب التتار بالروم الى خدمة السلطان الناصر محمد ، وكما أشارت المصادر فإن ذلك كان في سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) . انظر : القلقشندي ، **صبح الأعشى** ،٣٤٤/٧

وما بعدها ؛ المقريزي ، **السلوك** : ٣١٣/٢ وما بعده ؛ ابن تغر بردي : **النجوم الزاهرة** ، ٩٥/٨ وما بعدها؛ وأنظر، العبيدي : **العلاقات الخارجية**، ص ٢٩.

([٣٤]) عن معركة مرج الصفر انظر، الداودار: **زبدة الفكر**، ص ٣٧٥؛ المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٣٥٥ وما بعدها.

([٣٥]) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ١/ ٢٨٩

([٣٦]) الأمير سلار من التتار، التحق بخدمة الملك الصالح علي بن قلاوون ثم الملك المنصور قلاوون، وترقى في خدمة السلاطين إلى أن صار نائبا للسلطان مدة احدى عشرة سنة، ثم طلب من السلطان الناصر محمد الإعفاء من النيابة وأن يعينه على الشوبك فتم له ذلك، ووشي به إلى السلطان الناصر محمد فطلبه للقاهرة وصادره وسجنه بقلعة الجبل، وقتل فيها سنة(٧١٠هـ/١٣١٠م). المقريزي: **السلوك**، ٢/ ٤٤٥-٤٥٧

([٣٧]) زَبِيْد:عرفت قديما بإسم"الحصيب"، ثم غلب عليها إسم الوادي الذي تقع عليه، وهي بين بيت الفقيه ومدينة حيس غرب اليمن. ياقوت:**معجم البلدان**، ١٣١/٣؛ إبراهيم المقحفي : **معجم البلدان والقبائل اليمنية**(صنعاء،دار الكلمة،١٤٢٢هـ) ٧٣٢/١.

([٣٨]) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**،٢٨٩/١، وانظر عن حملة سلار؛ المقريزي: **السلوك**،٢/ ٣٧٣؛العيني: **عقد الجمان**،٣٢٤/٤ ؛ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٨/ ١٣٥.

([٣٩]) العيني : **عقد الجمان** ،٣٥٣/٤ .

([٤٠]) العيني : **عقد الجمان**،٣٥٣/٤ ،الملك المسعود يوسف بن الكامل بن محمد بن

الملك العادل أرسله والده إلى اليمن على رأس حملة كبيرة في سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م) بعد أن تضعضع النفوذ الأيوبي هناك بدرجة خطيرة، وللقضاء على الإمام الزيدي عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، وقد تمكن من ضبط الأمور وإعادة نفوذ الدولة الأيوبية على كثير من أجزاء.ابن حاتم: **السمط،** ص١٦٥ وما بعدها؛ محمد علي عسيري: **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي**(جدة: دار المدني:١٤٠٥هـ). ص١٣٣.

([٤١]) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية** ، ١/ ٢٩٨

([٤٢]) المقريزي: **السلوك** :٢/٤٠٢؛ العيني:**عقد الجمان،** ٤/٣٧٧؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة،** ٨/١٧١.

([٤٣]) المقريزي: **السلوك** ، ٢/٤١٣

([٤٤]) الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبو العباس، ولي الخلافة بعد وفاة والده سنة(٧٠١هـ/١٣٠٢م)،وتوفي في قوص سنة(٧٣٠هـ/ ١٣٤٠م).اليافعي: **مرآة الجنان،**٤/١٧٦؛المقريزي: **السلوك،** ٢/٣٤٥ ،٣/٢٨٨.

([٤٥]) الدوادار: **زبدة الفكر،** ص٣٩٧؛ ابن عبد المجيد : **بهجة الزمن** ، ص١٤٨ ؛ العيني : **عقد الجمان،** ص ٧٩٧؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ،٨/١٧٧– ١٧٨.

([٤٦]) الجلبة: زورق أو قارب كبير من طراز خاص يستخدم في البحر الأحمر وخليج عدن لنقل المسافرين والبضائع والأغذية. والفلوة :سفينة صغيرة في البحر الأحمر لنقل المواد الغذائية والمواد الأخرى. انظر، هانس كندرمان : **مصطلح السفينة**

عند العرب، ترجمة: نجم الدين مصطفى (أبو ظبي : المجمع الثقافي : ٢٠٠٢م) ص ٧٢ ، ص ٢٠٨.

([٤٧]) الدوادار: **زبدة الفكر**،ص٣٩٦؛ العيني : **عقد الجمان**، ٤٦٣/٤ ؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ،١٧٧/٨-١٧٨.

([٤٨]) **العقود اللؤلؤية**، ٣٠٨/١.

([٤٩]) **عقد الجمان**، ٤٦٣/٤

([٥٠]) المظفر ركن الدين بيبرس البرجي الجاشنكير، كان من مماليك السلطان قلاوون، وترقى في الخدمة و ولي الوزارة للسلطان الناصر محمد، ثم ولي السلطة في سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٩م) بعد أن تنازل عنها السلطان الناصر محمد في فترة سلطته الثانية، ولما عاد السلطان الناصر للمرة الثالثة للحكم سنة(٧٠٩هـ/١٣١٠م) خلع بيبرس نفسه من السلطة.أنظر عنه :اليافعي: مرآة الجنان،١٨٥/٤؛ المقريزي: السلوك،١٢٣/٣-١٤٣.

([٥١]) **النجوم الزاهرة**، ١٧٧/٨-١٧٨ .

([٥٢]) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ٢٩٠/١.

([٥٣]) **العقود اللؤلؤية**، ٣٠٨/١.

([٥٤]) الدوادار :**زبدة الفكر**، ص٤٠٤؛ المقريزي : **السلوك**، ٤٢٣/٢؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة**، ١٣٩/٨. أما ما ذكره أحد الباحثين بأن الرسوليين ما أن علموا بمشروع تلك الحملة حتى استجابوا لمطالب السلطان الناصر واستأنفوا ارسال الهدايا وكفوا عن اذية التجار، فهو مخالف للروايات التاريخية. أحمد عدوان:

المماليك وعلاقاتهم الخارجية(٦٤٨-٧٨٣هـ)، ط١(الرياض : دار الصحراء السعودية، ١٤٠٥هـ) ص ١٥٥.

([٥٥]) المقريزي: **السلوك**، ٤٧٢/٢؛ فهيد عبيد محيميد: **الحجاز تحت حكم المماليك** ، رسالة دكتوراة غير منشورة (القاهرة : جامعة الأزهر الشريف : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩) ص ١٣٣.

([٥٦]) السلطان المجاهد علي بن السلطان المؤيد داود تولى السلطة بعد وفاة والده سنة (٧٢١هـ/١٣٢١م) ولم يكن قد تجاوز الخامسة من عمره، فتردت أوضاع الدولة وتدهورت وقام بعض رجال الدولة بسجنه وتنصيب عمه المنصور بالسلطة في آخر(٧٢٢هـ/١٣٢٢م) ،إلا أن والدته وبعض رجاله قاموا باعتقال المنصور وأطلقوا سراح المجاهد بعد ثلاثة أشهر ،وواجه الكثير من المشكلات في حكمه، و حج سنة (٧٥١هـ/١٣٥١م) فأسره أمير المحمل المملوكي وأخذه معه إلى مصر ،ثم أطلق سراحه في آخر سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١) ،وفي آخر عهده خرج عليه أبناؤه الثلاثة: الصالح ،والعادل، والمظفر ودخل في صراع معهم إلى أن توفي سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٣م). أنظر: الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ١/٢ –٨، ١٢١؛ وللمزيد عنه انظر، فرج السبيعي: **الدولة الرسولية في اليمن في عصر السلطان المجاهد الرسولي علي بن داود (٧٢١-٧٦٤هـ/١٣٢١-١٣٦٣م) دراسة سياسية وحضارية** ، رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة : جامعة ام القرى، ١٤٢٨هم ٢٠٠٧م).

([٥٧]) كان الظاهر عبدالله بن أيوب بن يوسف الرسولي واليا على حصن الذُّمْلُوَة من قبل أبيه الذي ثار على السلطان المجاهد في سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)، ولما تم أسر والده امتنع عن الخضوع للسلطان المجاهد، واستولى على أجزاء كبيرة من

اليمن ،بل حاصر السلطان المجاهد في تعز لمدة أحد عشر شهرا ، وبعد معارك طويلة بينهما أضطر للاستسلام للسلطان المجاهد سنة(٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، فأودعه السجن، ومات فيه سنة (٧٣٤هـ/١٣٣٤م) . انظر، الخزرجي : **العقد الفاخر** ، ١١٩٩/٣.

([٥٨]) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية** ؛ ٣٢/٢ ؛ المقريزي : **السلوك** ، ٣/ ٧٣.

([٥٩]) ابن عبد المجيد: **بهجة الزمن**، ١٣٨؛ الخزرجي: **العقد الفاخر الحسن**، ٢٥٥٩/٤؛ **العقود اللؤلؤية** ، ٢/ ٣٧ ؛ المقريزي : **السلوك** ، ٧٩/٣؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، ٩/ ٦٥-٦٨.

([٦٠]) العبيدي : **العلاقات الخارجية**، ص ٤٠

([٦١]) الجندي: **السلوك**،٢/ ٥٩٤، المقريزي :**السلوك**، ٧٩/٣، ابن الديبع: **قرة العيون**، ص ٣٥٥.

([٦٢]) إسماعيل بن علي أبو الفداء (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): **المختصر في تاريخ البشر** ، علق عليه ووضح حواشيه محمود ديوب ، ط١(بيروت : دار الكتب العلمية : ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ٤/ ٩٤.

([٦٣]) المقريزي: **السلوك** ، ٨٥/٣.

([٦٤]) في سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) قدم السلطان المجاهد الرسولي الى مكة لأدى الحج وكان يصحبه الشريف ثقبة بن رميثة الذي كان قد هرب الى اليمن لخلاف بينه و اخيه عجلان بن رميثة فما كان من عجلان الا أن اثار مخاوف امير الحج المصري من وجود السلطان المجاهد في مكة ، فما كان من امير الحج المصري الا ان قبض عليه وذهب به اسيرا الى القاهرة، ومكث هناك قرابة سنة حيث اطلق

سراحه سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م). الأشرف ابي العباس اسماعيل الرسولي (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م): **فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في اخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن** (الباب الخامس من الكتاب) ، تحقيق : علي حسن معيلي ، رسالة دكتوراة غير منشورة (تونس : جامعة تونس: ٢٠٠٤م) ٢/ ٦٩٤؛ أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م): **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك**(اليمن: وزارة الإعلام والثقافة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م) ص٣٩٠؛ الخزرجي : **العقود اللؤلؤية** : ٨٤/٢. وانظر ترجمة عجلان بن رميثة عند الفاسي: **العقد الثمين** ، ١٨٩/٥

([٦٥]) عجلان بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسني تنافس على إمرة مكة مع أخيه ثقبة خلال الفترة (٧٤٧ – ٧٧٦هـ/٣٤٦ – ١٣٧٥م) فمرة يشتركان في الإمارة، وتارة ينفرد بها أحدهما دون الأخر. انظر ترجمتهما عند الفاسي: **العقد الثمين** ،٣/ ٢٥٦ ،١٨٩/٥.

([٦٦]) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية**، ٢/ ١١٧،١٣، ١٦٣؛ المقريزي :**السلوك**، ٤/ ٢٩٧ ،٣٩٦/٥؛_محمود بن أحمد العيني(ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) : **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (السلطان برقوق)** تحقيق : ايمان عمر شاكر(القاهرة : مكتبة مدبولي: ٢٠٠٢م) ص٩٧؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** : ٥٦/١٢.

([٦٧]) محيميد : **الحجاز**، ص١٤٦.وتعد كارثة دخول تيمورلنك لدمشق سنة (٨٠٣/ ١٤٠٠م) واستباحته لها من اشنع الكوارث التي تعرضت لها المدينة على مر تاريخها ولتفصيلات أكثر أنظر : المقريزي: **السلوك** ، ٦/ ٥٠ وما بعدها.

([٦٨]) السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن عمر بن يوسف بن عمر الرسولي تولى السلطة بعد وفاة والده سنة(٨٠٣هـ/١٤٠٠م) وواجه

العديد من الثورات الداخلية من أهمها ثورة أخيه الأمير حسين بن الأشرف وواجهه الناصر بكل حزم، وسمل عينيه واستمر في السلطة إلى وفاته سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٤م). مؤلف مجهول (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م): **تاريخ الدول الرسولية في اليمن** ، تحقيق : عبد الله الحبشي (دمشق : الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ) ، ص ١٣٣– ٢٠٧؛ ابن الديبع : **قرة العيون**، ص٣٩٠.

([٦٩]) السلطان برسباي الجركسي،كان من جملة المماليك السلطانية،ترقى في الخدمة وولي مناصب عليا منها نيابة طرابلس، وتعرض للسجن أكثر من مرة، ثم أصبح هو المتصرف في أمور الدولة في عهد الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر، وولي السلطة بعد خلعه سنة(٨٢٥هـ/١٤٢٢م).المقريزي:**السلوك**،٥٥/٧؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**،٧٨/١٤.

([٧٠]) ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، ١٤/ ١٢٠.

([٧١]) السلطان المنصور عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن عمر بن يوسف بن عمر الرسولي تولى السلطة بعد وفاة والده رغم صغر سنه، قرب اليه العلماء وابعد المبتدعة، وشهدت اليمن في عهد العديد من الإصلاحات رغم قصر مدة حكمه التي لم تتجاوز ثلاثة سنوات. ابن الديبع : **قرة العيون**، ص٣٩٣.

([٧٢]) حلي بن يعقوب: حلي وادي و مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر في تهامة عسير.ياقوت: **معجم البلدان**،٢٩٧/٢؛أحمد بن عمر الزيلعي: **المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي**، ق٣ – ٩هـ/٩ – ١٥م، حوليات كلية الآداب، الحولية (٧)، الرسالة (٣٩) ،جامعة الكويت: ١٤٠٦هـ، ص١١، ٢٣.

(٧٣) المقريزي: **السلوك**،١٣٣/٧؛ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ١٢٠/١٤.

(٧٤) مديحة الشرقاوي : **برسباي وسياستاه الداخلية والخارجية**، ط ١(القاهرة : الدار الثقافية، ١٤٢٩هـ) ص ١٣٣.

(٧٥) ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة**، ١٢٠/١٤.

(٧٦) **زبدة الفكر**، ص٣٩٥.

(٧٧) **صبح الأعشى**،٣١/٥.

(٧٨) **عقد الجمان**، ٣٥٣/٤.

(٧٩) العيني: **عقد الجمان**،٣٧٧/٤؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، ١٧١/٨.

(٨٠) محمد جمال الدين سرور: **دولة بني قلاوون في مصر(الحياة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص)**، (دار الفكر العربي) ص ١٣٨؛ محمد سعيد: **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول**، رسالة دكتوراه غير منشورة (تونس: جامعة تونس الأولى،١٩٩٧م)، ص٢١٥.

(٨١)العبيدي : **العلاقات الخارجية**، ص٩٩.

(٨٢) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية**، ١٩٨/١.

(٨٣) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية**، ٢٣٨/٢.

(٨٤) يذكر المقريزي والعيني بأن السلطان المظفر الرسولي حمل الهدية المقررة عليه إلى مصر مدة أربعين سنة. (المقريزي : **السلوك** ،٥١٦/٢؛ العيني : **عقد الجمان**، ٣٥٣/٤). إلا أنه من خلال تتبع المصادر اليمنية والمصرية خلال تلك الفترة لم نجد الإشارة إلا إلى ستة هدايا متبادلة بين الطرفين .

([٨٥]) الجندي: **السلوك** ،٢/٥٩٨-٦٠٣؛الخزرجي:**العقود اللؤلؤية**، ٢/١١٧؛ المقريزي: **السلوك**،٦/٤٣٥،٤١٩؛العيني:**السلطان برقوق**، ص٤١٠.

([٨٦]) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية**،٢/١٦٣، ٢٤٢ ،٢٥١.

([٨٧]) المقريزي : **السلوك** ،٥/٣٩٦، ٦/٤٠٥؛ العيني : **السلطان برقوق**،٤١٠؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ،١٢/٥٦

([٨٨]) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية**،٢/١٦٣، ١٦٨ ، ٢٤٢.

([٨٩]) عيذاب: مرسى السفن القادمة من عدن إلى الصعيد، تقع على ساحل البحر الأحمر عند خط عرض (َ ١٩ ٢٢°) شمالا وخط طول (َ ٩ ٣٦°) شرقا .ياقوت:**معجم البلدان**،٤/١٧١؛ سعيد : **الحياة الاقتصادية**، ص ١٧٩، ١٨٠.

([٩٠]) المقريزي : **السلوك** ،٢/٥١٦.

([٩١]) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية**،١/٣٤٨،المقريزي: **السلوك** ،٤/١٧٥ ، ١٧٩

([٩٢]) العيني : **السلطان برقوق**،ص٤١٠.

([٩٣]) أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) : **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** (القسم الخاص بمملكة اليمن) حققه وقدم له: أيمن فؤاد سيد (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٧م)، ص ٢٤.

([٩٤]) الخزرجي : **العقود اللؤلؤية**، ١/٦٩.

([٩٥]) ابن حاتم : **السمط**، ص٣٤٨ ؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية** :١/١٣٤، ابن فهد : **اتحاف الورى** :٣/٨٤. وقد برر السلطان المظفر تقديمه لأعلام المماليك على أعلامه بقوله : " أتراني أؤخر أعلام ملك كسر التتار بالأمس وأقدم أعلامي

لأجل حضوري !! ". انظر : الخزرجي : **العقود اللؤلؤية** ، ١/ ١٣٤. ولكن يظهر أن السبب الرئيس وراء هذا التصرف من قبل السلطان المظفر هو أنه في هذا العام (٦٥٩هـ/١٢٦١م) صدر منشور الخليفة العباسي بالقاهرة المستنصر بالله بتقليد السلطان الظاهر البلاد الحجازية، وبموجبه تلقب بلقب " خادم الحرمين الشريفين " حسب ما دلت على ذلك بعض المسكوكات (المقريزي : **السلوك** ، ١/٤٥٤؛ ريتشارد مورتيل : **الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي** (الرياض: جامعة الملك سعود :١٤٠٥) ص ٥٤. ولهذا ادرك السلطان المظفر أنه ليس بمقدوره منافسة المماليك على الحجاز فآثر الانسحاب.

([٩٦]) إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني تولى إمارة مكة بالمشاركة مع ابي نمي بن أبي سعد تقريباً في سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) بعد أن أخرجا منها ابن برطاس وأمضى أكثر من سبع عشرة سنة حتى اشتد التنافس بينهما فقتله أبو نمي سنة(٦٦٩هـ/١٢٧١م). تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م): **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ) ٢/٣٨٣؛ الفاسي : **العقد الثمين**، ٣/١٧٥.

([٩٧]) محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني تولى إمارة مكة بالمشاركة مع إدريس بن قتادة في سنة(٦٥٣هـ/١٢٥٥م) تقريباً، وقتل إدريس بن قتادة سنة (٦٦٩هـ/١٢٧١م) وانفرد بالإمارة إلى أن وافته منيته في سنة (٧٠١هـ/١٢٧٢م). الفاسي : **العقد الثمين**، ٢/١٤٨.

([٩٨]) الفاسي: **العقد الثمين**، ٢/١٥١؛ المقريزي : **السلوك**، ص ٦١.

([٩٩]) ا بن عبد الظاهر: **الروض الزاهر** ، ص١٣٥؛ العيني: **عقد الجمان**، ٢/٤٦.

([100]) الفاسي: **العقد الثمين**، ٢/١٥٤.

([101]) ابن عبد الظاهر: **تشريف الأيام والعصور**، ص٢٧٢، العيني: **عقد الجمان**: ٣/٢١٠ – ٢١١، أحمد: **بنو رسول وبنو طاهر**، ص٤٠.

([102]) الأشرف الرسولي: **فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب**،٢/ ٦٩٤؛ الخزرجي: **العسجد المسبوك**، ص٣٩٠، الفاسي: **العقد الثمين**، ٦/١٧١. وثقبة بن رميثة بن أبي نمي الحسني تنازل له والده عن الإمارة شريكا لأخيه عجلان سنة(٧٤٤هـ/١٣٤٣م) ولم يستمر الوفاق بينه وأخيه فانفرد في الإمارة في بعض الفترات وابعد عنها فترات أخرى ووافته منيته سنة(٧٦٢هـ/١٣٦١م).انظر عنه : الفاسي: **العقد الثمين**، ٣/٢٥٦؛ ابن فهد : **اتحاف الورى**، ٣/ ٢٢٦ وما بعدها.

([103]) ابن فهد : **اتحاف الورى** ، ٣/ ٤٦٩. والشريف بدر الدين حسن بن عجلان بن رميثة من بني قتادة الحسني، ولي امرة مكة في سنة(٧٩٧هـ/١٣٩٤م) وعزل عنها في سنة(٨١٨هـ/١٤١٥م)، ثم اعيد اليها في السنة التالية واستمر فيها إلى وفاته سنة(٨٢٩هـ/١٤٢٥م).انظر:ابن فهد: **اتحاف الورى**، ٣/٣٩٤-٦٣٠، ولمعلومات اوفى انظر : محمد عائض الزهراني : **الحجاز في عهد الشريف حسن بن عجلان : دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية** ، رسالة ماجستير غير منشورة (جدة : جامعة الملك عبد العزيز، ١٤١٢/ ١٤١٣هـ).

([104]) رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسني ولي إمارة مكة قرابة سبع مرات انفرد في بعضها وفي أخرى كان شريكا لبعض إخوته. ووافته منيته سنة(٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م).الفاسي : **العقد الثمين** ، ٤/ ١٠٠.

([105]) ابن فهد: **اتحاف الورى**، ٣/٥١٤؛ مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة الرسولية**،

ص ١٧٢.

(١٠٦) ابن فهد : **اتحاف الورى** ، ٣/ ٥٤٦.

(١٠٧)ابن فهد: **اتحاف الورى**، ١٠٢/٣.مجهول: **المنتقى في أخبار أم القرى** ،بيروت، مكتبة خياط، ٧٧/٢. محمد لبيب البتنوني: **الرحلة الحجازية**(مصر: مطبعة الفجالة، ١٣٢٧هـ) ص١٠٧؛ آمنة جلال : **علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز**، رسالة ماجستير غير منشورة (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص١٧٢ .

(١٠٨) الفاسي : **العقد الثمين**،٣٥٥/٣ .

(١٠٩) بيبرس المنصوري الدودار(ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م): **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، تقديم:عبد الحميد حمدان، ط١(القاهرة:الدار المصرية اللبنانية :١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٤٧؛ شهاب الدين أحمد النويري (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م): **نهاية الارب في فنون الأدب** (القاهرة :المؤسسة المصرية العامة)، ٢٨/٣؛ القلقشندي: **مآثر الأناقة**،١١٢/٢؛المقريزي: **السلوك**، ٤٤٨/٢؛ محمد بن أحامد ابن إياس(٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م): **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق : محمد مصطفى، ط٢ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ١/ ٣١٢؛ علي حسني الخربوطي: **الإسلام والخلافة** (بيروت : دار بيروت، ١٩٦٩م) ، ص٢٣٠.

(١١٠) محمد قاسم الدبعي:"**مسكوكات الدولة الرسولية**" ،كتاب المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب في جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة(تعز–عاصمة اليمن الثقافية–على مر العصور)(تعز:مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة،٢٠١٠م)،ص٦٢٠.

(١١١) الخزرجي:**العقود اللؤلؤية**،٦٩/١؛ يحيى بن أبي بكر العامري(ت٨٩٣هـ/

١٤٨٨م):**غربال الزمان في وفيات الأعيان**، علق عليه محمد ناجي العمر (دمشق: دار الخير،١٤٠٥هـ) ص٥٣٣.

([١١٢])ابن عبد الظاهر : **تشريف الأيام والعصور** ، ص٢٧٢؛ العيني: **عقد الجمان**: ٢١٠/٣ – ٢١١؛ أحمد: **بنو رسول وبنو طاهر**، ص٤٠.

([١١٣]) ومما جاء في هذا الكتاب : " الذي له – أي السلطان المؤيد –شبهة تمسك بأذيال المواقف المستعصمية – أي الخليفة العباسي المستعصم – وهو مستصحب الحال على زعمه، أما علم الفرق بين الأحياء والأموات " وحين ذكر الأسباب التي اوجبت الاستعداد لغزو اليمن قال : " ومنها تعطيل اجياد المنابر من عقود اسمنا وخلوا تلك الأماكن من أمر عقدنا وحلنا ". الدوادار:**زبدة الفكر**، ص٣٩٧؛ابن عبد المجيد: **بهجة الزمن**، ١٤٨ ؛ العيني: **عقد الجمان**، ٤٦٧/٤؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة**، ١٧٧،١٧٨/٨.

([١١٤]) المقريزي : **السلوك**، ١٥١/٢؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**،٢٧٤/٧.

([١١٥]) ابن حاتم : **السمط**، ص ٢٦٩؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ١٣٢،١٤٥/٢؛ مؤلف مجهول: **تاريخ الدول الرسولية** ، ص ٢٧٠.

([١١٦]) العيني: **عقد الجمان**، ٣٥٣/٤.

([١١٧]) الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص الجركسي اليلبغلوي، ترقى في الخدمة حتى أصبح من كبار الأمراء في الدولة، وبويع بالسلطة بعد خلع الملك الصالح حاجي سنة(٧٨٤هـ/١٣٩٩م).المقريزي: **السلوك**،١٤١/٥.

([١١٨]) القلقشندي: **صبح االأعشى**، ٧٦،٧٢/٨.

([١١٩]) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ٢٥١/٢.

([١٢٠]) العيني: **عقد الجمان**،٣٥٣/٤؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٨/ ١٧٧.

([١٢١]) القلقشندي: **صبح الأعشى** ،٨/ ٧٢ ؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**،٢/ ١٦٨؛ العيني: **عقد الجمان**، ٤٦٣/٤.

([١٢٢]) المقريزي:**السلوك**،٧٠٧/٤؛ مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة الرسولية**، ص ١٢٨؛ سعيد: **الحياة الاقتصادية** ، ص ٢٨١.

([١٢٣]) ابن فهد: **اتحاف الورى**: ٥٨٨/٣ .

([١٢٤])ابن فهد: **اتحاف الورى**: ٦٠٦/٣، وعلي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني ولي امارة مكة سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٤م) بعد عزل الشريف حسن بن عجلان غير انه لم يمكث في الإمارة إلا سنة وحدة حيث عزل واعيد حسن بن عجلان الى الإمارة. انظر، ابن فهد : **اتحاف الورى**، ٣/ ٦٠٤-٦٢٢.

([١٢٥])المقريزي :**السلوك** ، ٧/ ١٢٨.

([١٢٦]) السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن عمر بن يوسف بن عمر الرسولي سجنه أخوه السلطان الناصر أحمد سنة(٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) وظل في سجنه إلى أن اخرجه المماليك وبايعوه على السلطة سنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٨م) واستمر بها إلى وفاته سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٩م). مجهول : **تاريخ الدولة الرسولية**، ص١٩٨؛ ابن الديبع: **قرة العيون**؛ ص ٣٩٨، ولمعلومات أوفى أنظر: مازن بن فهد الهجرس :**الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الرسولي** ، رسالة ماجستير غير منشورة (بريدة : جامعة القصيم، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

([١٢٧]) مجهول :**تاريخ الدولة الرسولية**، ص ١٢٨، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري(٩٢٠هـ/١٥١٤م): **زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك**، تحقيق: بلس داويس(باريس: مطبعة الجمهورية، ١٨٩٣م) ص ١٢٩.

([١٢٨]) ابن شاهين : **زبدة كشف المماليك**، ص١٢٩.

([١٢٩]) المقريزي: السلوك ، ٢٧٧/٧، علي بن داوود الصيرفي(ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) : **نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمن**، تحقيق : حسن حبشي (القاهرة : مطبعة، دار الكتب، ١٩٧٣م) ٣٠٢/٣

([١٣٠]) ابن فضل الله :**مسالك الأبصار**، ص ٢٤؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**،١/ ٢٨٩

([١٣١]) ابن حاتم: **السمط**، ص ٣٤٨؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ١٣٤/١؛ ابن فهد: **اتحاف الورى** : ٨٤/٣

([١٣٢])ابن عبد الظاهر: **تشريف الأيام والعصور**، ص ٢٧٢؛ الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ٣٢/١.

([١٣٣])مجهول: **نور المعارف** ، ص ٤٩٢-٤٩٣

([١٣٤]) مجهول: **نور المعارف**، ص ٤٩٨-٤٩٩

([١٣٥])ابن عبد الظاهر: **الروض الزاهر**، ص١٠٠؛ علي بن عباس بن شافع (ت٧٣٠هـ/١٣٣٠م): **حسن المناقب السرية**، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، (د:م)، (د: ت) ، ص١٢٤.

([١٣٦])الدودار: **زبدة الفكرة**، ص٢٠٨- ٢٠٩؛ ابن الفرات: **تاريخ ابن الفرات**، ٢٢٨/٧.

([١٣٧]) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية** ، ٢٨٩/١

([١٣٨]) المقريزي: **السلوك** ، ٢/ ٣٧٣؛ العيني : **عقد الجمان** ،٣٢٤/٤؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، ٨/ ١٣٥.

([١٣٩]) ابن عبد المجيد: **بهجة الزمن**، ص٣٧؛ الخزرجي: **العقد الفاخر**، ٤/ ٢٥٥٩، الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ١٣٨/٢؛ المقريزي: **السلوك**،٣/ ٧٩؛ ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة**، ٩/ ٦٥، ٦٨.

([١٤٠]) المقريزي : **السلوك**، ٧/ ١٣٣؛ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، ٤/ ١٢٠

([١٤١]) مجهول:**تاريخ الدولة الرسولية**، ص ١٢٨؛ ابن شاهين: **زبدة كشف المماليك**، ص ١٢٩.

([١٤٢]) الجندي: **السلوك** ، ٢/ ٥٩٨-٦٠٣، الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**،١١٧/٢؛ المقريزي: **السلوك**، ٦/ ٤١٩.

([١٤٣]) الخزرجي: **العقود اللؤلؤية**، ٢/ ١٠٣، ١٦٨، ٢٤٢.